التاريخ السياسي لامارة الجبور
في نجد وشرق الجزيرة العربية

الدكتور عبد اللطيف ناصر الحميدان

١٤١٧/٨٢٠-   /١٥٢٥

توطئة

بعد ما يزيد على ربع قرن من اختفاء امارة العصفوريين العامرية التي سبق ان بحثناها نجحت قبائل بني عامر مرة ثانية في بسط سلطانها على مناطق من نجد وشرق الجزيرة العربية بزعامة اسرة تنتمي الى جدها الاكبر ((جبر)) فعرفوا ببني جبر او الجبور.

وعندما طرق البرتغاليون باسطولهم لاول مرة مياه الخليج في مطلع القرن العاشر\السادس عشر لفت انتباههم النفوذ الواسع والقوة الضاربة التي قد حازها الجبور. فتحدثوا عنهم في تقاريرهم بكثير من الاحترام الممزوج بالرهبة والخوف وحين اطلع مايلز miles على بعض ما كتبه البرتغاليون عاق على ذلك بقوله : انه ليبدوا حقا بان بني جبر مرعبيين الى حد كبير وان امرهم قد بقي حتى الآن لغزا لم يحل(١) والواقع ان مايلز لو حاول ان يجهد نفسه في البحث والتنقيب في المصادر المختلفة لاتضح له بان امر بني جبر ليس باللغز الذي يصعب فك بعض طلاسمه . فمنذالخمسينات من هذا القرن والمحاولات تبذل للكشف عن تاريخ بني جبر وتعود اسبق هذه المحاولات للمستشرق الالماني المعروف كاسكلcaskel الذي قام ١٩٤٩ بنشر بحث قصير عن شرق الجزيرة العربية بعنوان((امرة حاكمة مجهولة في بلاد العرب)) وهو استعراض عام وسريع لبعض المعالم البارزة في تاريخ شرق الجزيرة ، وقد اتى فيه على ذكر الجبور والسلطانيين((اجود)) و((مقرن)) وفضلا عن المصادر البرتغالية فقد

اعتمد على ما ورد عنهم في المصادر العربية وبخاصة ما ورد عند السمهودي وابن بشر.

ان البحث هذا على قصرة وعموميته احتوى على بعض المعلومات والملاحظات المفيدة(٢) وقد اعقب كاسكل بقليل الشيخ محمد العبد القادر الذي خص الجبور بصفحتين من كتابه المكرس اصلا لتاريخ الاحساءمنذ القديم حتى العصر الحديث .وبالرغم من ان المؤلف اتبع الاسلوب التقليدي في عرض مادته،فانه قدم لنا مادة اولية ايلة لم يسبقه احد،بحيث جعل من غير الممكن لباحث في تاريخ شرق الجزيرة العربية ان يتجاهل هذا المصدر القيم الجليل الذي كان قد نهض به الشيخ محمد العبد القادر.(٣)

ثم جاء دور الشيخ حمد الجاسر فتناول النصو التي اوردها الشيخ محمد العبد القادر في كتابه المذكور واضاف اليها ما في حوزته من مادة جديدة فكتب بحثا عن الدولة الجبريةفي الاحساء يمكن ان يوصف بانه اول محاولة لعرض تاريخ الجبور، باسلوب جديد فكان علامة مضيئة في هذا الطريق(٤).

ان آخر ما يمكن ان يشار اليه في هذا الصدد هو البحث الذي نشره المستشرق جان اوبينjean uiqa عام ١٩٧٢ بعنوان((مملكة هرموز في مطلع القرن السادس عشر)) وعلى الرغم من ان هذا البحث مكرس اساسا لتاريخ مملكة هرموز،الا انه ضم معلومات مفيدة عن طبيعة العلاقة بين امارة الجبور وملوك هرمز.(٥)

وهنا لابد ان نشير اننا قد تعمدنا عدم الاشارة الى الجهد الذي قام به مايلز بالكتابة عن تاريخ الخليج وسبق هؤلاء جميعا.لان ما اورده عن الجبور قد جاء في السياق العام وذلك عند حديثه عن البرتغاليين ولم يخصص جزءا من كتابه للحديث عنهم .

وعلى الرغم من ذلك فانه كان اول من انتبهه الى اهمية دورهم معتمدا في ذلك على تقارير البرتغاليين المنشورة فقط.وكذلك تجاهلنا ذكر جورج ستريبلنك stripling الذي خصص لهم في اطروحته الاتراك العثمانيين والعرب ١٥١١-١٥٧٤ حيزا ضيقا لم يتجاوز الاربعة اسطر،لان ماذكره هو مستمد من مدونات البوكرك فقط.

ومهما يكن من امر فان هؤلاء الباحثين الذين اشرنا اليهم لم يكن بينهم من استوعب كافة المصادر،عربية كانت ام غير عربية، ووضع تاريخ الجبور ضمن الاطار العام للتاريخ الخليج العربي والجزيرة،وبنظرة شمولية .لذا كان لابد من اعادة النظر فيما طرح من مادة واضافة ما هو جديد اليهاوعرضها بطريقة ملائمة تتناسب والدور الذي لعبه الجبور في تاريخ الجزيرة العربية.

ان دراستنا هذه تاتي ضمن هدف طموح لكتابة تاريخ حوض الخليج العربي في العصر الوسيط المتاخر.تلك الفترة التي عرفت بغموضها وقلة مصادرها .ولقد بذلنا ما في الطاقة لاستقصاء مختلف المصادر مستفيدين الفاضلين محمد العبد القادر وحمد الجاسر،راجين ان تكون هذه الدراسة جهد يضاف الى جهودهما من اجل سد الثغرة الواسعة في معرفتنا التاريخية عن نجد وشرق الجزيرة العربية خاصة والخليج العربي عامة،خلال هذه الفترة.

على اننا قد نؤآخذ على تجرؤنا على نقد بعض النصوص والآراء ومحاولة تفنيدها والتشكيك بها.والواقع اننا قد اضطررنا في احيان كثيرة الى اتباع الاسلوب النقدي نظرا لان ماطرح حتى الآن مع مادة يفتقر للتمحيص والتدقيق ،يضاف الى افتقارنا الى مصدر اساسي يمكن الركون اليه عن هذه الفترة.

على ان افتراضاتنا واعتراضاتنا لم تكن تبتعد كثيرا عن طبيعة ما يمن ان يتبع في هذه المنطقة من احداث وما يقتضيه منطق الامور.كما اننا في كل ما ذهبنا اليه نعتمد على المقارنة والاستنتاج ضمن تطور يعتمد على التامل الطويل في

الاحداث التاريخية والبحث عن اوجه التشابه فيها،مدركين باننا سوف نجد من يخالفنا في بعض ما ذهبنا اليه.لكن فرحنا سوف يكون كبيرا عندما نجد المخالفين يطرحون ما في حوزتهممن معلومات ما زلنا نجهلها حتى الآن تاركين للمختصين تقدير الجهد المبذول في هذا البحث.

شرق الجزيرة في اعتاب سقوط العصفوريين

من المفيد ان نذكر القارىء بما سبق ان قلناه عن الظروف التي كانت قد احاطت بالعصفوريين وذلك في بحثنا عن امارة العصفوريين(٧)- اذ ان الشتات والنزاع كان سائدا بين امرائهم منذ القرن الثامن/الرابع عشر،الامر الذي نتج عنه تجزئة امارتهم وتعدد ظهور الزعامات المتناحرة مما ادى في النهاية الى زوال امارتهم على يد سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة الذي لم تطل فترة حكمه ،اذ سقط على يد الزعيم الاحسائي جروان المالكي.

على ان بني عصفور خاصة وبني عامر عامة ،وقد فقدوا سلطانهم السياسي ظلوا يحتفظون في كل من نجد وشرق الجزيرة العربية بنفوذهم الاقتصادي الواسع ،ولعل وضح دليل على ذلك ان قوافل الحج القادمة من جنوب ايران وجنوب العراق وسواحل الخليج العربي كان يتولى قيادتها وحراسها بنو عامر،وكثيرا ما اطلق على هذه القافلة اسم قبيلة عقيل.ولقد بقي اطلاق هذه التسمية على هذه القوافل حتى عهد قريب الامر الذي يحملنا على الظن بان هذه التسمية قد اصبحت تطلق على هذه القوافل (كعلامة تجارية)،اكثر من كون هذه التسمية تعني انتسابا قبليا(٨).

والواقع ان قوة قبيلة بني عامر العقيلية وشجاعة رجالها ومهارتهم السياسية والتجارية قد حققت لهم احتكار قيادة القوافل منذ القرن الثالث عشر ولفترة

طويلة،فاحتلت في نجد وشرق الجزيرة العربية واطرافها دورا يذكرنا بالدور الذي كانت تلعبه قريش في غرب الجزيرة واطرافها قبل الاسلام.

على انه يجدر بنا ونحن نشير الى القوافل التجارية ان نلفت الانتباه الى ان ماكان يقوم به بنو عامر من قيادة وخفارة للقوافل وما يتقاضوه عن ذلك من رسوم يجب ان لا ينظر اليه على انه عمل من اعمال السلب والنهب كالذي تمارسه بعض الجماعات البدوية غير المنضبطة،بل يعتبر ضربا من ضروب النشاط الاقتصادي الذي بدؤه لا يمكن ان نتوقع وجود نشاط تجاري واقتصادي هام في تلك البقاع وضمن تلك الظروف.ولقد اورد لنا السخاوي (ت١٤٩٧/٩٠٢) ذكر قافلتين كانتا يقودهما بنو عامر في الفترة التي اعقبت زوال سلطتهم السياسية.القافلة الاولى كانت عام٨١١هـ ـ/١٤٠٨م ذكرها السخاوي عندما ترجم لجليل بن محمد الاتفهي لاشتر ،حيث قال:(بان سافر من الحجاز الى الحسا والقطيف بصحبة قافلة عقيل).اما الثانية اتت عام١٤٢٠/٨٢٣،ذكرها السخاوي عندما ترجم لمحمد بن محمد ابو الخير العمري المعروف بابن الجزري(٩).

ويبدو لنا ان بطون بني عامر كانت تراقب الوضع في بلاد البحرين عن كثب وتتحين الفرصة المناسبة لاسترجاع نفوذها السيادي السابق .ومن المحتمل ان لاسرة التي كانت تحتكر قيادة قوافل الحجيج من بينهم وان تكون الاقدر على ايترجاع ذلك النفوذ بما لديها من قوة اقتصادية ومن اتباع وعبيد وجراء كانت تستخدم في حراسة القوافل اضافة الى وجود صلات قريبة لها بقبائل كثيرة بحكم ما تمارسه من نشاط. على ان يجب علينا ان لا نتصور بان الشقاق الذي كان قد وقع بين زعماء العصفوريين قد دمر الكيان الاجتماعي لبني عامر،اذ لابد انها بقيت تعترف برابطة واحدة هي رابطة النسب الاكبر ايا كان مستواها الاقتصادي والاجتماعي.ومهما يكن من امر فانه من اللازم علينا ان نبدي اختلافنا مع ما ذهب اليه الشيخ حمد الجاسر من ان هناك صلة بين الشيخ زامل بن جبر

،مؤسس امارة الجبور وبين قريش(قرشي) الذي قام عام ٧٨٥/١٣٨٣-٨٤ بارتكاب مجزرة ضد حجاج شيراز والبصرة والحسا ونهب ما كانت تحمله قوافلهم من اموال عظيمة،ثم ما قام به من اعتراض لطريق الحجاج العراقيين وارغامهم على دفع مبالغ كبيرة له(١٠).

والذي يبدوا لنا ان الشيخ الجاسر يميل الى الاعتقاد بأن قريشا هذا،ماهو الا اخ لزامل بن جبر،وان ظهور نشاطه يمثل مقدمات لظهور نفوذ الجبور وفي راينا ان الذي اوقع الشيخ الجاسر في هذا الاعتقاد هو اعتماده على مصدر واحد وهو رواية الجزيري فقط ،فلو انه رجع الى مصادر اخرى ككتاب المقريزي او الصيرفي او غيرهم لتراجع عن اعتقاده هذا. والواقع ان (قريشا) هذا ماهو الا احد افراد اسرة آل مهنا التي تتزعم قبائل طي ومن ينطوي تحت لوائها من عشائر في كل من العراق والشام. ان المصادر لم تذكر اسم والد قريش بل اكتفت بذكر اسم عمه زامل بن موسى بن مهنا بن عيسى نظرا لشهرته الواسعة ،اذ تولى امرة عرب بادية الشام مرتين الاولى عام ٧٧٠/١٣٦٨-٨٠. ولزامل هذا اخوان هما عمر ومحمد،ولا ندري أي هؤلاء الاثنين هو والد قريش(١١).

ومهما يكن من امر فان حادثة الهجوم على قوافل حجاج العراق وايران والحسا لايمكن فهمها الا من خلال التعرف على علاقة زعماء قبائل طي بعضهم ببعض من جهه،ثم علاقتهم بكل من الدولتين المماوكية والجلايرية من جهة اخرى، وكذلك الاوضاع الداخلية في هاتين الدولتين في حدود هذه الفترة، الا ان ذلك سوف يخرجنا عن مجال بحثنا. على ان الذي تجدر الاشارة الية ان بعض زعماء طي كانوا قد اقاموا لهم امارة في جهات البصرة منذ ان قطع السلطان الايلخاني ابو سعيد (٧١٦-٧٣٧/١٣١٦-٣٥) البصرة لفضل بن عيسى احد زعماء طي عام ٧١٨/١٣١٨ (١٢).

ويبدو ان زعماء طي كان لهم نشاط بعد هذا التاريخ في هذه المنطقة.فنحن نعرف ان السلطان المماوكي الظاهر كان قد اوعز الى زعيم قبيلة غزية ثامر بن

قشعم الذي يقيم عادة قرب المشهدين (كربلاء والنجف) بمهاجمة املاك آل فضل في البصرة عام ١٣٩٣/٧٩٥،فقام بالاستيلاء على املاكهم ونهبها.(١٣) كما ان شرف الدين يزدي قد ذكر بان تيمور لنك ارسل حفيده امير زادة ميرنشاه بحملة الى البصرة عام ١٣٩٣/٧٩٦-٩٤ للتنكيل بالعرب الذين كانوا يقطعون طرق قوافل الحجاج(١٤).

ونحن نعرف بان آل فضل في البصرة كانوا على عداء مع امارة العصفوريين في بلاد البحرين لذا بقي ان نتساءل عما اذا كان قريش هذا قد اتخذ من جهات البصرة قاعدة لهجومه على قوافل الحجاج هذه؟.

ومهما يكن من امر فالذي نراه ان هجوم قريش هذا لم يمر دون ان يترك خلفه اصداء واسعة . نظرا لضخامته وللخسائر التي رافقته ،واستهدفت احد الشرايين الحيوية للحياة الاقتصادية لبلاد البحرين.لذا لايمكن ان نكون قد ابتعدنا عن الصواب فيما لو اتخذنا من هذا الهجوم سببا مقبولا لسقوط امارة العصفوريين،ان لم يكن دليلا على سقوطها قبل هذه الحادثة بقليل.كما يمكن ان نقول بان هذه الواقعة قد مهدت السبيل لصالح بن حولان (جولان) لان يبسط نفوذه السياسي على البحرين اضافة الى البصرة لينتهي هذا النفوذ بهجوم جيوش تيمورلنك على البصرة ١٣٩٣/٧٩٥ والذي نتج عنه مقتل صالح(١٥).
ان فترة الفراغ السياسي الذي حدث في البحرين في نهاية القرن الثامن/الرابع عشر أي في حدود فترة التغيرات والاحداث التي اشرنا اليها –هي الفترة التي ترجح فيهاقيام سعيد بن مغامس بن سليمان او جروان المالكي بالاستيلاء على السلطة في تلك البلاد.

ومما تجدر الاشارة اليه هنا اننا كنا قد بينا الاسباب التي حملتنا على تخطئة التاريخ الذي اورده ابن حجر العسقلاني وهو عام ١٣٠٥/٧٠٥-٦-كبداية لقيام حكومة جروان في بلاد البحرين (١٦). ويمكننا ان نضيف الآن تساؤلا آخر هو ،كيف يمكن الاطمئنان الى صحة التاريخ الذي اورده ابن حجر مع انه يجهل ما

وقع لهذه الامارة من احداث خلال حياته ؟ فهو يقول عن ذلك ان (ابراهيم بن ناصربن جروان كان وما يزال حاكما للقطيف عام ١٤١٧/٨٢٠،فحسب ولا يعرف عما وقع له ولامارته بعد هذا التاريخ ،مع ان ابن جبر عاش حتى عام ١٤٤٨/٨٥٢.

ويبدو لنا ان مدة حكم اسرة جروان المالكي في بلاد البحرين لم تتجاوز نصف قرن .على اننا سوف نحاول على ضوء ما لدينا من ادلة تحديد التاريخ التقريبي لنهاية حكومة آل جروان على يد الجبور بعد ان كنا قد رجحنا تاريخ قيامها في حدود عام ١٣٩٣/٧٩٥ او بعد بضع سنوات .

قيام امارة الجبور

يجدر بنا قبل الحديث عن قيام امارة الجبوران نبدي بعض الملاحظات حول الصلة بن العصفوريين والجبور فنقول: انه اذا كانت صلة النسب والانحدار القيسي بينهما امر لا خلاف فيه نظرا لانتسابهما جميعا الى قبيلة عامر بن عقيل فان الذي يضع تقريره هو مدى الصلة العائلية التي تربط فيما بين الاسرتين ،وهل ان الجبور ينحدرون من النسل المباشر للشيخ عصفور ام لا؟؟
علينا اولا ان نعترف بان المخطط التقريبي لسلسلة القرابة بين امراء العصفوريين الذي كنا قد رسمناه لا يساعدنا في الاجابة عن هذا السؤال .(١٨)

على انه يجب ان نقرر بان سلسلة نسب امراء الجبور لم تصلنا بشكل كامل ودقيق،بل انها تشير في كثير من الاحيان بعض الاشكالات في درجة القرابة العائلية فيما بينهما.فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد ان المصادر تذكر بان الجبور ينتسبون الى جدهم الاكبر جبر.لكن هذه المصادر لم تساعدنا في الاجابة على تساؤلنا عن موقع اسم جبر ضمن سلسلة نسب هذه الاسرة.

ان عبارة جدهم جبر هي غير كافية للاجابة على هذا السؤال ،فالعرب كثيرا ما اعتادوا عند اشارتهم الى الرؤساء والشيوخ والحكام والامراء،بل وحتى الى اسماء الاسر الميسرة،الى الاكتفاء بذكر الجد البارز الذي ينتسبون اليه فقط.ويستمرون في اطلاق ذلك على الآباء والاحفاد ايضا'فيصبح اسم هذا الجد وكانه هو البداية لسلسلة نسب الاسرة ويسكتون في اغاب الاحيان عما يلي هذا الجد من اسماء،الامر الذي ينتج عنه الاشكالات حول الانحدار العائلي لهذا الجد الكبير خصوصا في حالات السادة. وهذا ماحدث بالضبط بالنسبة لامراء الجبور ،كان يكتفى باطلاق اسم ((ابن جبر)) او ((ابن زامل او ابن اجود)) ويبدو ان مثل هذه التعابير كانت شائعة في عهد امارتهم بحيث ان البرتغاليين عند دخولهم الى الخليج العربي قد وجدوها متداولة بين السكان فتحدثوا في تقاريرهم عن ابن جبر وبلاد ابن جبر.

لقد سقنا هذه الامثلة واثرنا هذه النقاط ليلتمس لنا القارىء العذر في عدم تمكننا من الجزم حول درجة صلة القرابة العائلية ما بين العصفوريين وبين الجبوريين بالرغم من اننا نميل الى وجود مثل هذه الصلة بين الاسرتين اذ انه على الرغم من عدم وجود المبدا الوراثي الثابت لتولي المشيخة ،بل هذه المشيخة تبقى في القبائل العربية محصورة عادة في افراد اسرة معينة .
ان عدم وجود هذا المبدا الوراثي الثابت هو نفسه قد يكون احد العوامل التي قد تساعد على بروز زعامات جديدة .فالاب قد يخلفه ابنه او اخوه وربما عمه او ابن اخيه ....الخ وكل هذه الامور تعتمد على القابلية الشخصية فكل فرد من افراد البيت التي تنحصر فيه المشيخة والظروف المحيطة به وكذلك على عدد المنضوين تحت لواء كل زعيم من زعمائها سواء كانوا من افراد عشيرته ام من اتباعه الاخرين،ومهما يكن من امر فان ما اثرناه حتى الآن يبقى بعيدا عن الاجابة عن الكيفية التي برزت فيها زعامة جبر او بنيه وتوليهم المشيخة في بني عامر .

وكذلك تبقى تساؤلاتنا بعيدة عن الكشف عن صلة النسب التي تربطهم بنسل الشيخ عصفور بن راشد العامري العقيلي .بقي علينا ان نحاول تحديد الفترة الزمنيه التي ظهر فيها نشاط بني عامر بزعامة بني جبر واستطاعوا بعدها انتزاع السلطة في شرق الجزيرة العربية ،بعد ان كنا قد قطعنا بعدم وجود صلة بين نشاط(قريش الطائي) وبين الشيخ زامل بن حسين بن ناصر بن جبر.

وجدير بنا بادىء ذي بدء ان نعيد الى الاذهان القول بان كلا من القطيف والاحساء كانتا منذ بداية النصف الثاني من القرن الثامن/الرابع عشرتدينان بالتبعية لمملكة هرموز العربية المتاثرة كثيرا بالمحيط الفارسي والتي كانت قد تركت الحكم فيها لامراء من العرب في حين كانت جزيرة البحرين كانت قد اخذت تحكم من قبل حكام يعينون من قبل ملوك هرموز(٢٠). ولقد احتفظ ملوك هرموز بالقابهم التي تنم عن تبعية تلك البلاد اليهم، فقد كان قطب الدين فيروز شاه الذي حكم حتى عام ١٤١٧/٨٢٠ بلقب ملك هرموز والبحرين والحسا والقطيف. كما ان سيف الدين مهار الذي حكم حتى عام ١٤٣٥/٨٣٩ قد وصف بانه صاحب هرموز والبحرين وبانه كان يبعث بالحكام من قبله الى كل من قطيف والبحرين(٢١).

ويبدو ان قوة نفوذ ملوك هرموز وهيبتهم كانت سببا الى حد ما في تثبيت الاوضاع السياسية في بلاد البحرين .الا انه في نهاية الربيع الاول من القرن التاسع /الخامس عشر اخذت مظاهر الضعف والاضطراب السياسي تبرز في مملكة هرموز.فكان الصراع بين افراد الاسرة الحاكمة فيها مظهرا وسببا في ان واحد لحالة الضعف هذه،مما شجع العرب على طول الساحل الشرقي لجزيرة العرب للتحرك بهدف التخلص من التبعية لمملكة هرموز. ولعل ماحدث في بلاد البحرين خير مثال على ذلك كما سوف نرى.

في صيف عام ١٤١٧/٨٢٠ قام سيف الدين مهار بالتمرد على ابيه تهمتن الثالث فيروز وارغمه على التنازل عن العرش.فولد هذا التغيير توترا واسعا في مملكة هرموز.(٢٢) ويبدو ان هذا الوضع المتوتر كانت له انعكاسات في بلاد البحرين ،فالمؤرخ الهرموزي –البهمني نيمديهي يذكر لنا بان البدو في بلاد البحرين قد انتفضوا عام ١٤١٧/٨٢٠ بحيث اصبح من المتعذر على القوافل سلوك الطريق ما بين البحرين والحجاز.(٢٣)

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل ان البدو الذين اشار نيمديهي اليهم قد قصد بهم الجبور؟؟ وهل ان انتفاضتهم هذه قد ادت الى الاستيلاء على الاحساء وانتزاعها من بني جروان؟؟

ان الذي يحملنا على هذه التساؤلات هو:-

١- ان السخاوي حين ترجم للسلطان اجود بن زامل قال: بانه ولد في بادية الاحساء في رمضان عام ٨٢١ تشرين الاول ١٤١٨،(٢٤) وهذا الامر يحملنا على الافتراض بان الجبور كانت لهم في هذه الاثناء السيطرة على هذه البوادي.

٢- ان ابن حجر العسقلاني حين ترجم لابراهيم بن ناصر بن جروان وصفه بانه صاحب القطيف ولم يضف الى لقبه غير هذا الاقليم، وكان هذا الوصف له في حدود عام ١٤١٧/٨٢٠ في الوقت الذي كان ابن حجر نفسه قد وصف جروان- جد المترجم له- بانه الحاكم على كافة بلاد البحرين(٤٥) .فعبارات ابن حجر هذه تحملنا على الافتراض بان الجبور كانوا قد انتزعوا الاحساء من ابراهيم ابن جروان ولم يبق في يده غير القطيف وان ابن حجر حين حدد هذه السنة بالذات فانه لابد ان يكون قد وقعت فيها احداث في جهات بلاد البحرين كانت مناسبة لان يعرف عن آل جروان بعض المعلومات.

٣- ان كلا من البحرين والقطيف وعمان وقلهات وهرموز وغيرها كانت قد ذكرت ضمن المناطق الخاضعة لنفوذ ملك هرموز سيف الدين مهار – بداية حكمه عام ١٤١٧/٨٢٠- بينما لم يرد ذكر الاحساء ضمن ذلك ،في حين ان اسم الاحساء كان يذكر ضمن المناطق الخاضعة لنفوذ والده قطب الدين فيروز شاه ،والذي انتهى حكمه مع بداية حكم ولده سيف الدين (٢٦).

ان هذه النقطة تحملنا هي الاخرى على الافتراض بان الاحساء كانت قد خرجت قبيل عام ١٤١٧/٨٢٠عن دائرة التبعية لملوك هرموز مثلما خرجت من ايدي بني جروان.

على اننا ونحن نرصد احداث بلاد البحرين يجدر بنا ان نوجه انتباهنا ايضا الى ماكان يقع في المناطق المجاورة لها من احداث ’خصوصا ونحن نعرف دقة الترابط الوثيق بين تاريخ بلاد البحرين وما يجاورها من اقاليم عبر العصور المختلفة .فعلى سبيل المثال نجد ان القبائل العربية على الحدود الشمالية لبلاد البحرين قد استطاعت بقيادة الشيخ مانع بن شبيب انتزاع البصرة من الدولة الجلائرية وذلك منذ مطلع القرن التاسع /الخامس عشر ’ليحكمها هو واولادة من بعده (٢٧). ان هذا الحدث قد يكون له دور محفز ليدفع بني عامر للتحرك من جديد من اجل اعادة هيمنتهم على بلاد البحرين مثلما كانوا في السابق.

ومهما يكن من امر فان الطريق ما بين البحرين والحجاز الذي كان قد قطع عام ١٤١٧/٨٢٠ قد اصبح مطروقا عام ١٤٢٠/٨٢٣ ولكن بقيادة بني عامر .فالسخاوي يذكر بان قافلة بني عقيل قد غادرت الحجاز في هذه السنة بعد انتهاء موسم الحج عائدة الى بلاد البحرين(٢٨). على ضوء ما تقدم يمكن الافتراض بان الجبور كانو قد انتزعوا واحات الاحساء من بني جروان

وان ذلك قد حدث في حدود العام ١٤١٧/٨٢٠،ثم اتخذوا منها قاعدة لتوسعاتهم في المستقبل.

ان هذه الفرضية لا تتعارض ومالدينا من ادلة ،بل ان الادلة التي اشرنا اليها آنفا بالرغم من انها ادلة غير قطعية –تعزز هذه الفرضية. اما ماذكره المستشرق الفرنسي جان اوبين من ان سيف بن زامل ربما كان قد استولى على واحات الاحساء عام ١٤٦٠/٨٦٥/٨٦٤،(٢٩) فهو اجتهاد يعوزه الدليل ويصعب قبوله كما سوف نرى.

ان الاحداث التي وقعت على ساحلي الخليج العربي ضمن حدود مملكة هرموز كانت فرصة مواتية للجبور لتثبيت امارتهم وتوسيعها.

ففي عام ١٤٣٥/٨٣٩-١٤٣٦ثار الامير فخر الدين ترنشاه الثاني حاكم ميناء قلهات العماني –ضد اخيه سيف الدين مهار ملك هرموز، وكانت ثورته بتحريض ومساندة من العرب ،وكان لبلاد البحرين دور فعال في هذه المساندة اذ زود منها بالسفن كما امدته الاحساء بالخيول واقرضه تجار تلك البلاد بالاموال اللازمة لتغطية تكاليف حملته.

الا ان الحرب بين الاخوين قد طالت مدتها وتعقدت ،اذ استمرت لمدة اربع سنوات ويعزى سبب ذلك الى تدخل السلطان شاهرخ(١٤٠٥/٨٠٧- ٨٥٠/ ١٤٤٧) حفيد تيمور ووقوفه الى جانب سيف الدين مهار وامداد ه بالجند.

ومهما يكن من امر فان هذه الحرب قد انتهت اخيرا لصالح فخر الدين تورانشاه عام ١٤٣٩/٨٤٣ وفاز بكرسي المملكة(٣٠).

ان الذي يهمنا من ثورة فخر الدين تورانشاه هي انها قد ادت الى تعزيز الدور الذي اخ يلعبه عرب السواحل الشرقية للخليج في الحياة السياسية لمملكة هرموز .كما انها كانت فرصة للزعماء الطموحين لاستغلال هذه

الاضطرابات للتحرك لتحقيق طموحاتهم . ويبدو ان الجبور كانوا من المنتهزين لهذه الظروف .فجان اوبين ينقل لنا عن المؤرخ الفارسي جعفري المعاصر للاحداث من موقع حدوثها قوله بانه في سنة ١٤٣٩/٨٤٣-١٤٤٠ -أي في نفس السنة التي انتهى فيها الصراع بين الاخوين سيف الدين مهار وفخر الدين تورنشاه –قام البدو بالاستيلاء على القطيف ونهبها(٣١).

والذي نميل اليه ان التاريخ المذكور اعلاه يمكن ان يكون تاريخ استيلاء الجبور على القطيف،بعد ان كانوا قد استولوا قبلها على واحات الاحساء. ان هذه الفرضية التي نميل اليها تعززها الادلة التالية وهي:-

اولا:- ان نص الجعفري الذي سبق ان ذكرناه بالرغم من انه لا يصرح باسم البدو الذين قاموا بالاستيلاء على القطيف ،فاننا نميل بشدة الى ان المقصود بهم هم بنو عامر بزعامة آل جبر .ان معلوماتنا تشير الى انه في حدود هذه الفترة كان بنو عامر يشكلون القوة القبلية الرئيسية والنشطة في بلاد البحرين.

ثانيا:- ان حالة الاحتراب بين المتنافسين على عرش مملكة هرموز ثم انتصار تورانشاه في نهايتها لابد ان تكون فرصة مناسبة ومشجعة للمعارضين للملك المهزوم سيف الدين مهار للانقضاض على اعوانه والحكام التابعين له في كل مكان وطردهم من مواقعهم .ثم ان العرب عموما وسكان بلاد البحرين خصوصا كانوا ممن قدموا مساعدات كبيرة لتورانشاه في صراعه ضد اخيه،ومن المحتمل ان مثل هذه المساعدات قد تمت وفق شروط معينه يمكن من خلالها الحصول على تعويضات مقابلة لها وقد يكون التنازل عن القطيف ،بما تغله من واردات هي ضمن هذه المساعدات .ونحن لا نغرق في الخيال والتصورات عندما نقول ذلك،فلدينا دليل تاريخي يدعم ذلك وهو شروط التعاون ما بين الشيخ اجود بن زامل وبين ملغور-والتي سوف

نذكرها في حينه- وربما يكون هذا الاتفاق قد اعتمد على واقعة سابقة اشرنا اليها سابقا.

ثالثا:- ان ابن حجر العسقلاني حينما ترجم لابراهيم بن ناصر بن جروان المالكي ذكر بانه كان مايزال يحكم الاحساء في عام ١٤١٧/٨٢٠.ان تحديد ابن حجر لهذه السنة بالذات –بالرغم من انه قد مات بعدها بفترة طويلة سببا اذ انه توفي عام ١٤٤٨/٨٥٢-يعني انه يجهل ما وقع في بلاد البحرين بعد هذا التاريخ من احداث ،او انه يعرف انه قد حدثت تغيرات هناك بعد هذا التاريخ ،الا انه لا يملك عنها معلومات كافية.ان هذا الامر قد يسمح لنا بالافتراض بان نهاية امارة جروان قد حدثت خلال حياة ابن حجر نفسه.

رابعا:-ان السخاوي حينما ترجم لفخر الدين تورانشاه قد نعته بصاحب هرموز فقط(٣٢.ولم يضف الى القابه مايفهم منه بتبعية أي جزء من اجزاء بلاد البحرين ،في الوقت الذي كان فيه السخاوي قد اضاف الى ملوك هرموز-الذين سبقوا فخر الدين- نعوتا يفهم منها تبعية بلاد البحرين او جزء منها لمملكتهم.ان هذا الامر يسمح لنا ايضا بالافتراض بان بلاد البحرين او معظم اجزائها على الاقل كانت قد خرجت من دائرة التبعية لملوك هرموز ولبني جروان في آن واحد .

خامسا:- ان ابن بام حينما ورد ذكر قيان زامل بن حسين الجبري بغزو الخرج من نجد عام ١٤٤٧/٨٥١ نعته بانه ملك الاحساء والقطيف .(٣٣) وان هذا الوصف للامير زامل يقتضي ان يكون قد امتلك كلا من الاحساء والقطيف قبل التاريخ المشار اليه سابقا،وقد يفترض البعض على استنادنا على رواية ابن بسام هذه على اساس ان عصر ابن بسام بعيد عن عصر زامل(توفي ابن بسام في حدود عام ١٩٢٧/١٣٤٦-٢٨)وردنا على ذلك هو ان تاريخ ابن بسام من المصادرالموثوق بها الى حد كبير عن تاريخ نجد للفترة ما بين القرنين التاسع والثاني عشر /الخامس عشر- الثامن عشر

،حتى ان جورج رينتز- المتخصص بتاريخ نجد- وصف هذا المصدر بانه لا يوازيه مصدر آخر لدراسة هذه الفترة(٣٤).

ومهما يكن من امر فان ابن بسام لابد ان يكون قد وقعت بين يديه مصادر نادرة لم تصل الينا على ان نص ابن بسام لا يتعارض في تقديرنا مع ما ذكره السخاوي من ان سيف ابن زامل هو الذي استولى على ما بيد بني جروان من بلاد البحرين (٣٥)، اذ قد يكون سيف هذا قد قام بهذ العمل في حياة والده زامل وبتوجيه منه .ثم علينا ان نلاحظ بان السخاوي لم يحدد لنا أي جزء من بلاد البحرين كان لا يزال بيد بني جروان فانتزعه منهم سيف؟وفي أي سنة قد تم ذلك؟

سادسا:- ان المرحوم سليمان الدخيل قد ذكر بان قيام دولة بني زويمل –أي دولة زامل- كان في حدود عام ١٤٤٦/٨٥٠(٣٦)،وهذا التاريخ الذي اورده الدخيل هو مقارب بعض الشيء للتاريخ الذي نميل الى صحته وهو عام ١٤٣٩/٨٤٣-٤٠.

وخلاصة الامر ان ماقد ذكرناه اعلاه فيه من الدلائل مايكفي لرفض فرضية جان اوبين- التي سبق ان اشرنا اليها- من ان احتلال الاحساء قد تم عام ٨٦٤-١٤٦٠/٦٥،كما ان هذه الادلة قد تعزز ماذهبنا اليه من ان هذا الاحتلال قد تم قبل التاريخ الذي اورده اوبين بحوالي العقدين من السنين.اما فرضية الشيخ حمد الجاسر والقائلة بان قيام دولة الجبور قد كان في اواخر القرن الثامن عشر /الرابع عشر (٣٧) فلا نعتقد اننا بحاجة لمناقشتها بعد كل ماسبق وان بيناه.

بقي علينا قبل ان نغادر هذه النقطة ان نذكربانننا نميل الى اعتبار زامل بن حسين بن ناصر بن جبر هو مؤسس امارة الجبور ،سندنا في ذلك هو نص ابن بسام الذي سبق ان ذكرناه .ونحن بذلك نخالف ماذهب اليه كل من محمد

العبد القادر وحمد الجاسر اللذين يميلان الى اعتبار سيف بن زامل هو مؤسس الامارة(٣٨). ومن الواضح ان سندهما في لك هو نص السخاوي الذي اشار فيه الى قيام سيف بانتزاع ما بايدي بني جروان من بلاد البحرين ولقد كنا قد اوضحنا سابقا بان ذلك لا يقتضي قطعا ان يكون سيف قد قام بهذا العمل بعد وفاة والده بل قد يكون قد قام به في حياة والده وبتوجيه منه.ثم ان نصوص ابن بسام صريحة في ان زاملا كان مايزال على قيد الحياة حتى بعد التاريخ الذي كان قد افترضه جان اوبين كتاريخ لفتح القطيف.

ومهما يكن من امر فان نجاح زامل بن حسين الجبري في فرض سلطانه على كل من الاحساء والقطيف قد رافقه ايضا بسط نفوذه على اجزاء واسعة من نجد، وقد يكون لانتشار قبائل عامر ووفرة نفوذها في نجد علاقة وثيقة في تحقيق هدفه هذا.ولعل ما ذكره بن عتبه-نقلا عن استاذه ابن معية الحسيني المتوفي ١٣٧٤/٧٧٦-٧٥-من ان الاخيضريين في اليمامة كان يقدر عددهم بالاف فارس ويدخلون تحت لواء بني عامر (٣٩)ماهو الا دليل على قوة زعامة بني عامر في اليمامة حتى تاريخ تلك الفترة السابقة لقيام امارتهم ،ثم ان الرواة ينهون نسب امراء الجبور بعبارة (النجدي) وهذا دليل على الصلة القوية مابين هذه الاسرة وبلاد نجد والتي هي الموطن الاصلي لسكنى قبائل عقيل.

ولعل كثرة الحملات التي قادها زامل بن حسين وكذلك اولاده الى نجد وذكرها ابن بسام دليل ايضا على ان امراء الجبور كانوا ينظرون الى تلك البلاد على انها الظهير التي يمكن الاعتماد عليه في تجنيد المقاتلين لزجهم في المعارك التي كانوا يخوضونها هنا وهناك بين حين وآخر،كما ان احد اهدافهم من ذلك هو كسب تاييد سكان واحات نجد عن طريق حمايتهم من اعداءات البدو او ابتزازهم لهم،فابن بسام يذكر لنا بان زاملا قد قاد جيشا عظيما مؤلفا من

البدو والحضر لاخضاع قبائل الدواسر والفضول وعايذ في منطقة الخرج وان هذه الحملات كانت في عام ١٤٤٧/٨٥-٤٨ وعام ١٤٤٨/٨٥٢ وعام ٨٥٥ /١٤٥١ ثم عام ١٤٦١/٨٦٦-٦٢ عى التوالي(٤٠).

ويمكن ان نضيف ان اسباب هذه الحملات التي كرناها اسبابا اخرى ،وهي المحافظة على سلامة طرق القوافل التي تربط مابين بلاد البحرين ونجد من جهه ونجد وظفار من جهة اخرى ،ثم يجب علينا الا ننسى بان الجبور بعد ان نجحوا في اقامة سلطة سياسية لهم لابد انهم قد اخذوا يرفضون الاعتراف للقوى القبلية الاخرى –بالمنافع المادية التي اخذوا يجنونها من وجودهم على قمة السلطة ،وهذا الامر بالتاكيد يثير في كثيرة من الاحيان النزاعات القبلية. مهما يكن من امر فانه يبدو بان الشيخ زامل قد نجح الى حد كبير في فرض هيبته وتثبيت نفوذه بين البدو والحضر في كل من نجد وبلاد البحرين واقام صلة من الروابط والمصالح المشتركة بين الفئتين.

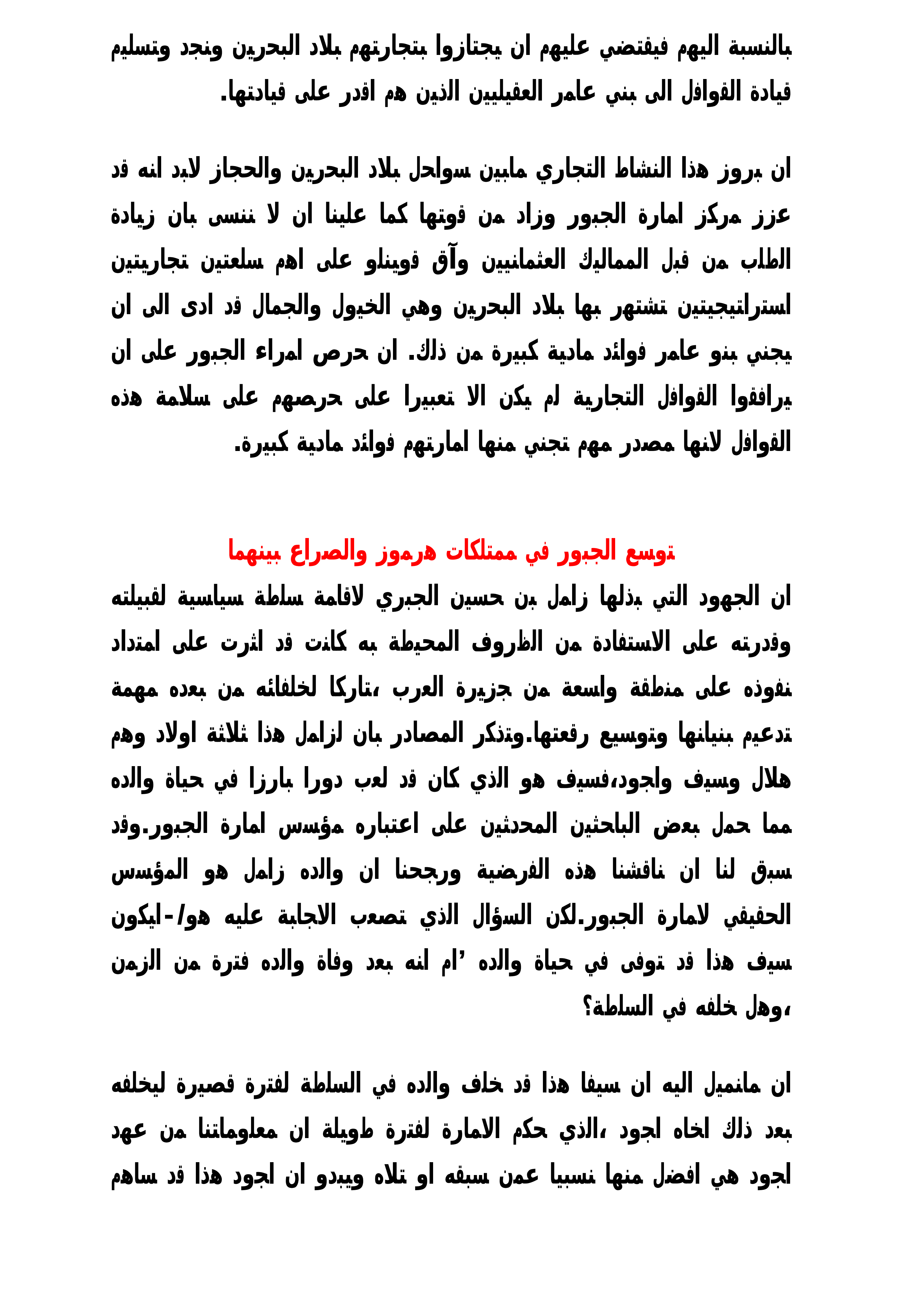
ان النجاح الذي حققه الشيخ زامل بن حسين قد هيأ بالتاكيد فرصة اكبر لتكوين قوة خاصة الى جانب القوة القبلية يمكن الركون اليها وتدين له بالتبعية مباشرة .فالعاملون في السفن وفي مغاصات اللؤلؤ ومصائد الاسماك وكذلك الرقيق الابيض والاسود المتوفر في اسواق الخليج العربي كل هؤلاء عناصر يمكن الاستفادة منها في تكوين مثل هذه القوة الخاصة والبعيدة عادة عن التاثر بالولاءات القبلية السائدة في مثل ذلك المحيط. والواقع ان عملية تكوين السلطة السياسية تعتمد على التطور الحاصل في الاداة الوحيدة للقوة وهي القوة العسكرية ،ولم تظهر سلطة سياسية بدون ظهور قوة عسكرية الى جانبها، على ان التركيب الاجتماعي للقوة العسكرية ماهو الا نتاج البيئة الاجتماعية والاقتصادية.ولعل فيما ذكره ابن بسام من ان السلطان زامل كان يقود جيشا عظيما مؤلفا من البدو والحضر يعبر عن الطبيعة الاجتماعية لتركيب هذا الجيش(٤١).

ومن المفيد ونحن نتحدث عن الظروف التي ساعدت الجبور على الاستيلاء على كل من البحرين والقطيف ونجد ان نستعرض العوامل التي ساعدت على تثبيت دعائم هذه الامارة.

لقد تزامن ظهور قوة الجبور مع انتشار الفوضى والاضطرابات والتخريب والدمار الواسع في كل من العراق وايران وديار بكر والاناضول وشمال بلاد الشام.فمنذ بداية العقد الثاني من القرن التاسع/الخامس عشر شهدت تلك المناطق صراعات وحروب حول السلطة والنفوذ فيما بين الدولة التيمورية ودولة قرة قوينلو ، وكذلك مابين الدولتين المذكورتين ودولة آق قوينلو ،ثم اخيرا مابين الدولة الاخيرة والدولة العثمانية . ولم تسلم الدولة المملوكية في مصر والشام من التورط بجانب من هذه الصراعات .يضاف الى كل ذلك الصراعات الداخلية الدامية حولالسلطة في داخل كل من هذه الدول.كما يجب ان لا غيب عن بالنا الاضطرابات الفلاحية والقبلية في وسط العراق وجنوبه والتي رافقت ظهور حركة المشعشعين التي انتهت بتاسيس امارة عربية لهم.(٤٣)

كانت مراكز الانتاج الصناعي والاسواق التجارية ومحطات القوافل في هذه السلطة الواسعة هي من مناطق الاضطراب الرئيسية.فكان من نتاج كل ذلك اصيب الحركة التجارية وحركة القوافل مابين الخليج العربي وهذه المناطق بنوع من الشلل والكساد (٤٣)فانكمش النشاط التجاري في موانئ الخليج العربي في الوقت الذي كانت فيه موانئ البحر الاحمر وعلى الخصوص ميناء جدة تشهد انتعاشا تجاريا كبيرا(٤٤).

وعلى ضوء الصورة التي رسمناها لاوضاع المناطق المجاورة لبلاد البحرين لابد ان نتوقع ان التجار قد اخذوا يتطلعون للمناطق الاكثر ازدهارا وآمنا من اجل نقل نشاطهم التجاري اليها،وحيث ان الحجاز اصبحت منطقة جذب



بالنسبة اليهم فيقتضي عليهم ان يجتازوا بتجارتهم بلاد البحرين ونجد وتسليم قيادة القوافل الى بني عامر العقيليين الذين هم اقدر على قيادتها.

ان بروز هذا النشاط التجاري مابين سواحل بلاد البحرين والحجاز لابد انه قد عزز مركز امارة الجبور وزاد من قوتها كما علينا ان لا ننسى بان زيادة الطلب من قبل المماليك العثمانيين وآق قوينلو على اهم سلعتين تجاريتين استراتيجيتين تشتهر بها بلاد البحرين وهي الخيول والجمال قد ادى الى ان يجني بنو عامر فوائد مادية كبيرة من ذلك. ان حرص امراء الجبور على ان يرافقوا القوافل التجارية لم يكن الا تعبيرا على حرصهم على سلامة هذه القوافل لانها مصدر مهم تجني منها امارتهم فوائد مادية كبيرة.

توسع الجبور في ممتلكات هرموز والصراع بينهما

ان الجهود التي بذلها زامل بن حسين الجبري لاقامة سلطة سياسية لقبيلته وقدرته على الاستفادة من الظروف المحيطة به كانت قد اثرت على امتداد نفوذه على منطقة واسعة من جزيرة العرب ،تاركا لخلفائه من بعده مهمة تدعيم بنيانها وتوسيع رقعتها.وتذكر المصادر بان لزامل هذا ثلاثة اولاد وهم هلال وسيف واجود،فسيف هو الذي كان قد لعب دورا بارزا في حياة والده مما حمل بعض الباحثين المحدثين على اعتباره مؤسس امارة الجبور.وقد سبق لنا ان ناقشنا هذه الفرضية ورجحنا ان والده زامل هو المؤسس الحقيقي لامارة الجبور.لكن السؤال الذي تصعب الاجابة عليه هو/-ايكون سيف هذا قد توفى في حياة والده ’ام انه بعد وفاة والده فترة من الزمن ،وهل خلفه في السلطة؟

ان مانميل اليه ان سيفا هذا قد خاف والده في السلطة لفترة قصيرة ليخلفه بعد ذلك اخاه اجود ،الذي حكم الامارة لفترة طويلة ان معلوماتنا من عهد اجود هي افضل منها نسبيا عمن سبقه او تلاه ويبدو ان اجود هذا قد ساهم

في حروب والده واخيه ومارس قسطا من السلطة فبرزت مواهبه العسكرية والسياسية وكسب شهرة وبروزا، مما اهله لتولي امارة الجبور بدون منازع ان الظروف التي كانت تمر بمنطقة الخليج قد اهات اجود بن زامل لان تبرز قابلياته على نطاق واسع ،وان تتجاوز شهرته حدود جزيرة العرب ،وهذا ماسوف نراه في الصفحات اللاحقة.(٤٥)

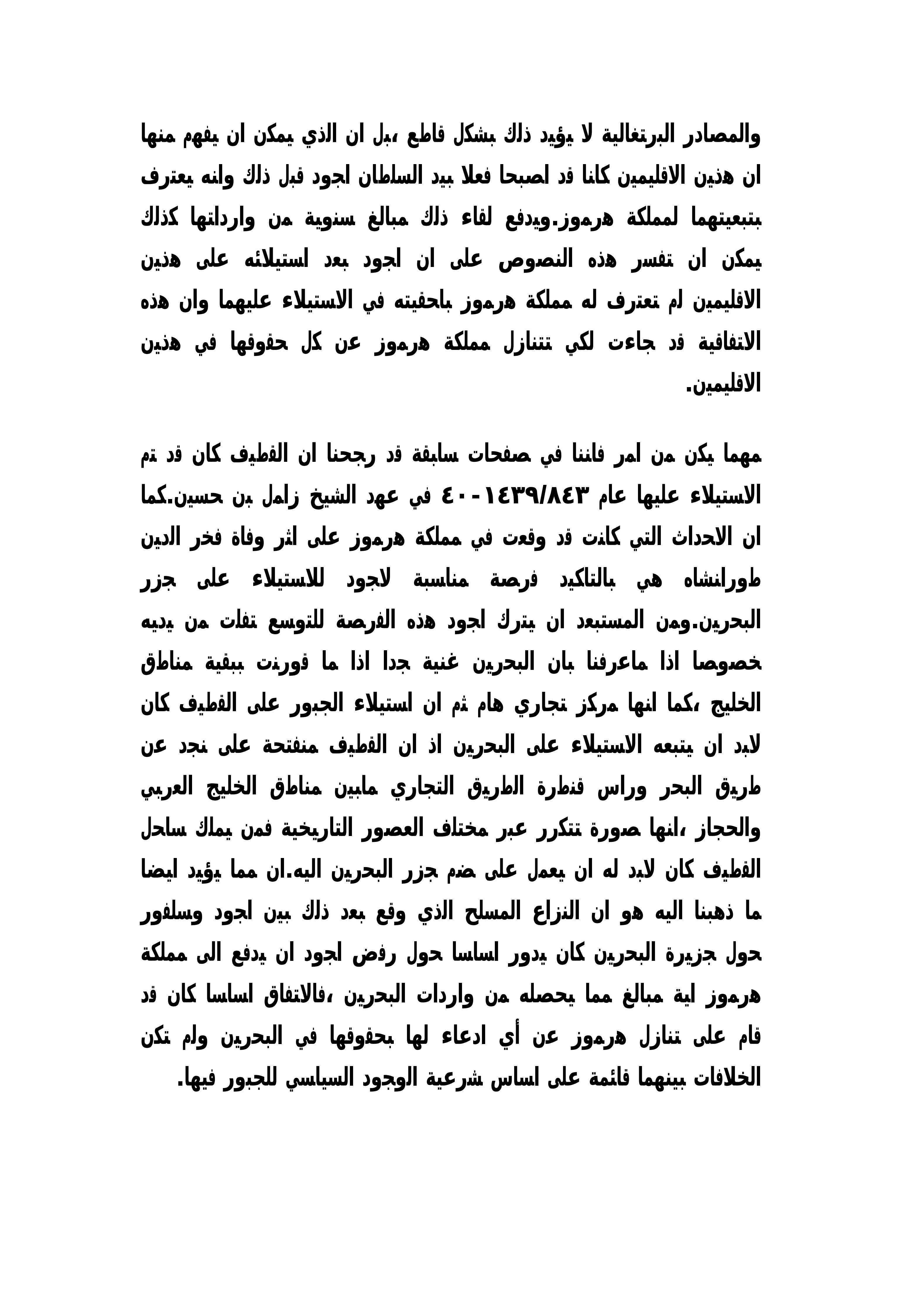
ان حالة الضعف والانحلال والاضطراب التي اخذت تعاني منها مملكة هرموز والاخطار التي كانت تهدد وجودها باستمرار من قبل دولة آق قرينلو في ايران ،كل ذلك جعل هذه المملكة مشلولة الحركة تجاه بروز الجور وتعاضم قوتهم في شرق الجزيرة العربية والاخطار المحتملة من قبلهم على نفوذ المملكة في تلك الجهات.ان هذا الوضع السائد في حوض الخليج العبي في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر /الخامس عشر،قد هيا لزعيم الجبور الطموح اجود بن زامل الفرصة للتوسع.وعند وفاة فخر الدين تورانشاه خلف اربعة اولاد ،وهم مقصود وشهاب الدين وسلغور وشاه ويس،وقد دار بين هؤلاء الاخوة صراع حول العرش .

فقد خلف مقصود اباه في العرش لكن اخاه شهاب الدين لم يدعه يتمتع طويلا بالسلطة اذ ثارعليه وانتزع العرش منه الا ان شهاب الدين هو الاخر لم تستقم له الامور طويلا ،اذ اطاح به اخوه سلغور ،ولم يكن حظ سلغور بافضل من حظ اخويه السابقين ،اذ ثار ضده اخوه الاصغر شاه ويس وانتزع الملك من يديه ،فما كان من سلغور الا ان اخذ يفتش عن نصير يساعده على اعادته الى عرشه والانتقام له من اخيه .وعليه فقد لجا الى والد زوجته سليمان بن سليمان النبهاني حاكم عمان الداخل .الا ان سليمان هذا لم يقدم له المساعدة المطلوبة نظرا لانه كان حاكما عاجزا وضعيفا مترددا .لم يكن امام سلغور غير التوجه الى الاحساء من اجل طلب الدعم والمساعدة من زعيم الجبور الامير اجود بن زامل .

وقد وجد السلطان اجود في لجوء سلغور اليه فرصة ثمينة للتدخل المباشر في شؤون مملكة هرموز ولتوسيع امارته على حسابها عن طريق املاء شروطه على سلغور لقاء هذه المساعدة. وعليه فقد اظهر اجود بن زامل استعداده لمساعدة سلغور شرط ان يتنازل الاخير له عن كافة حقوقه وادعاءاته في القطيف وجزر البحرين وان تعود ملكيتها لامارة الجبور. لم يكن امام سلغور غير الموافقة على شروط اجود هذه،ولم يطالب بغير ان يترك له ملكية بعض البساتين في جزيرة البحرين،فاجيب طلبه وتم توقيع اتفاق مكتوب بموجب ذلك بين الطرفين .وتنفيذا لهذا الاتفاق قام اجود بن زامل عام ١٤٧٥/٨٨٠ بحشد قواته في جلفار(راس الخيمة) ومن المحتمل جدا ان اجود قد اسند قيادة قواته الى ولده زامل، اذ تذكر المصادر البرتغالية ان سلغور قد طلب المساعدة من ريس زامل حاكم سلوت،وربما كان زامل يحكم من هذا الميناء شبه جزيرة قطر والمنطقة الساحلية لبلاد البحرين نيابة عن والده.مهما يكن من امر فان هذه القوات قد انطلقت على ظهر سفن لغزو جزيرة(هرموز) يرافقها سلغور وتمكنت من احتلالها والقبض على شاه ويس ووزيره خواجه عطار (٤٦) وتنصيب سلغور ملكا على هرموز.

وكنتيجة لذلك اصبحت كل من القطيف وجزر البحرين واجزاء من امارة الجبور (٤٧) ومما هو جدير بالذكر بان حكم الشيخ اجود قد شمل بلاد هرموز(٤٨) وربما يعني بقوله هذا اجزاء كانت في السابق من مملكة هرموز كالقطيف والبحرين ،اما اذا كان يقصد اجزاء غيرها فهذا خطأ محض اوقعته فيه رواية السخاوي المشوشة عن علاقة اجود بسلغور شاه.

قبل التحدث عما وقع من احداث في اعقاب ما اشرنا اليه يجدر بنا ان نثير سؤالا هاما وهو: هل يفهم من الاتفاقية ما بين سلغور واجود ان كلا من القطيف والبحرين لم تكونا قد دخلتا ضمن نفوذ الجبور قبل عام ٨٨٠/ ١٤٧٥؟ للاجابة على ذلك يمكننا القول بان التدقيق فيما اورده ابن ماجد



والمصادر البرتغالية لا يؤيد ذلك بشكل قاطع ،بل ان الذي يمكن ان يفهم منها ان هذين الاقليمين كانا قد اصبحا فعلا بيد السلطان اجود قبل ذلك وانه يعترف بتبعيتهما لمملكة هرموز.ويدفع لقاء ذلك مبالغ سنوية من وارداتها كذلك يمكن ان تفسر هذه النصوص على ان اجود بعد استيلائه على هذين الاقليمين لم تعترف له مملكة هرموز باحقيته في الاستيلاء عليهما وان هذه الاتفاقية قد جاءت لكي تتنازل مملكة هرموز عن كل حقوقها في هذين الاقليمين.

مهما يكن من امر فاننا في صفحات سابقة قد رجحنا ان القطيف كان قد تم الاستيلاء عليها عام ١٤٣٩/٨٤٣-١٤٤٠ في عهد الشيخ زامل بن حسين.كما ان الاحداث التي كانت قد وقعت في مملكة هرموز على اثر وفاة فخر الدين طورانشاه هي بالتاكيد فرصة مناسبة لاجود للاستيلاء على جزر البحرين.ومن المستبعد ان يترك اجود هذه الفرصة للتوسع تفلت من يديه خصوصا اذا ماعرفنا بان البحرين غنية جدا اذا ما قورنت ببقية مناطق الخليج ،كما انها مركز تجاري هام ثم ان استيلاء الجبور على القطيف كان لابد ان يتبعه الاستيلاء على البحرين اذ ان القطيف منفتحة على نجد عن طريق البحر وراس قنطرة الطريق التجاري مابين مناطق الخليج العربي والحجاز ،انها صورة تتكرر عبر مختلف العصور التاريخية فمن يملك ساحل القطيف كان لابد له ان يعمل على ضم جزر البحرين اليه.ان مما يؤيد ايضا ما ذهبنا اليه هو ان النزاع المسلح الذي وقع بعد ذلك بين اجود وسلغور حول جزيرة البحرين كان يدور اساسا حول رفض اجود ان يدفع الى مملكة هرموز اية مبالغ مما يحصله من واردات البحرين ،فالاتفاق اساسا كان قد قام على تنازل هرموز عن أي ادعاء لها بحقوقها في البحرين ولم تكن الخلافات بينهما قائمة على اساس شرعية الوجود السياسي للجبور فيها.

مهما يكن من امر فان هذه الخلافات بين القوتين قد اثارت حروبا طويلة سوف نتعرض اليها في الصفحات التالية.

عندما نجح الامير سلغور شاه في الوصول الى العرش بدعم من الشيخ اجود بن زامل ،ندم على تنازله عن حقوق مملكته في البحرين خصوصا وان واردات هرموز كانت تعاني انخفاضا كبيرا نتيجة لانكماش تجارة الخليج العربي بعد ازدهار تجارة البحر الاحمر ولعل ما تغله كل من البحرين والقطيف من واردات لهرموز سوف يخفف بالتاكيد من العجز الذي تعاني منه خزانتها.

كما يجب ان لايغيب عن ذهننا عامل آخر قد يكون له دور في تاجج الصراع بين هرموز والجبور ،ذلك انه اصبح لاجود شهرة واسعة ولامارته مكانة كبيرة ولا ادل على ذلك من ان اجود اصبح يلقب بسلطان البحرين والقطيف والاحساء ورئيس اهل نجد (٤٩) وهي القاب كان ملوك هرموز يفخرون في السابق بحملها.كما اننا نجد من الجهة الاخرى ان مملكة الدكن البهمنية في الضد تسعى الى صداقته .فراسله وزيرها الشهير محمود كاوان طالبا منه اقامة علاقة صداقة وتعاون بين الدولتين ،وفي ذلك دليل على ان شهرة اجود قد جاوزت حدود منطقة الخليج العربي لتصل الى الهند(٥٠).

اخذ سلغور شاه يعمل على التذرع بمبررات للتخلص من الاتفاقية التي عقدها مع السلطان اجود،فاخذ يطالب الاخير بان يدفع له مبالغ سنوية من واردات هاتين المقاطعتين باسم حقوق التبعية لكن اجود رفض ذلك وتمسك بالاتفاقية المكتوبة بينهما.ولجا سلغور الى استعمال القوة لاسناد مطاليبه فارسل عدة حملات بحرية ضد جزر البحرين والقطيف ،كانت احدى هذه الحملات بقيادته واخرى بقيادة وزيره نور الدين الهالي،كما قاد احدى الحملات ايضا طورانشاة بن سلغور شاه. وقد تصدى الجبور ببسالة لهذه الحملات جميعا

واحبطوها بقيادة السلطان اجود بن زامل،مستفيدين من تفوقهم العسكري في البر.

مما تجدر الاشارة اليه هنا ان المستشرق الفرنسي اوبين يميل للاعتقاد بان الحملة التي قادها طورنشاة عام ١٤٨٥/٨٩٠ قد نجحت في احتلال البحرين(٥١). ان ماذهب اليه اوبين يصعب قبوله للاسباب الثلاثة التالية
اولا:- ان ابن ماجد عندما وصف جزر البحرين قال((بانها لاجود بن زامل عند تالفينا الكتاب)) وبما ان كتاب ابن ماجد ((الفوائد)) قد الف مابين عامي ٨٩٥-١٤٨٩/٩٦-٩٠(٥٢) فمعنى ذلك ان اوبين كان على خطأ فيما ذهب اليه.

ثانيا:- انه خلال تلك السنة التي رجح فيها جان اوبين احتلال طورانشاه للبحرين كانت مملكة هرموز تعاني خوفا شديدا من اطماع صوفي خليل بك موصوللو رجل دولة آق قوينلو القوي ولم تستطع هرموز ان تتنفس الصعداء الا عندما ابتعد خطره عنها عام ١٤٨٦/٨٩١ (٥٣) في مثل هذه الظروف التي تهدد هرموز يصعب قبول فكرة قيامها بحملة قوية ضد البحرين والقطيف.

ثالثا:- ان ابن بسام قد ذكر بانه في عام ١٤٨٥/٨٩٠- وفي نفس السنة التي ذكر ان البحرين قد احتلها الهرموزيون – قام اجود بن زامل بحملة تاديبية ضد بعض القبائل في واحات الخرج من اقاليم نجد(٥٤) فاذا كانت بلاد البحرين مهددة بغزو وشيك الوقوع او ان جزيرة البحرين قد احتلت في تلك السنة ،فكيف يقوم سلطان الجبور بالابتعاد عن مواقع الخطر بعيدا الى الغرب؟ مهما يكن من امر فان الذي نميل اليه هو ان مملكة هرموز قد ادركت بان تسوية الامر عن طريق تحقيق نصر عسكري حاسم ضد امارة الجبور غير ممكن،وان الوصول الى تسوية سلمية توفيقية ربما يكون افضل .كما يمكن القول بان السلطان اجود لابد انه هو الاخر قد اخذ يميل الى الحل

نظرا للاضرار الاقتصادية التي اخذت تصيب امارته. ان ماذكره المؤرخ البرتغالي دي باروس من ان النزاع بين الطرفين قد تم تسويته عن طريق اتفاقية هو الاقرب الى الصحة وتؤيده الوقائع التالية. ان هذه الاتفاقية قد ذكر بانها نصت على :

اولا:- تكون جزيرة البحرين تحت ادارة الجبور.

ثانيا:- يعترف الجبور بتبعية هذه الجزر لمملكة هرمز.

ثالثا:- بموجب حقوق التبعية يقوم الجبور بدفع مبالغ سنوية (مقررات) من واردات هذه الجزر.

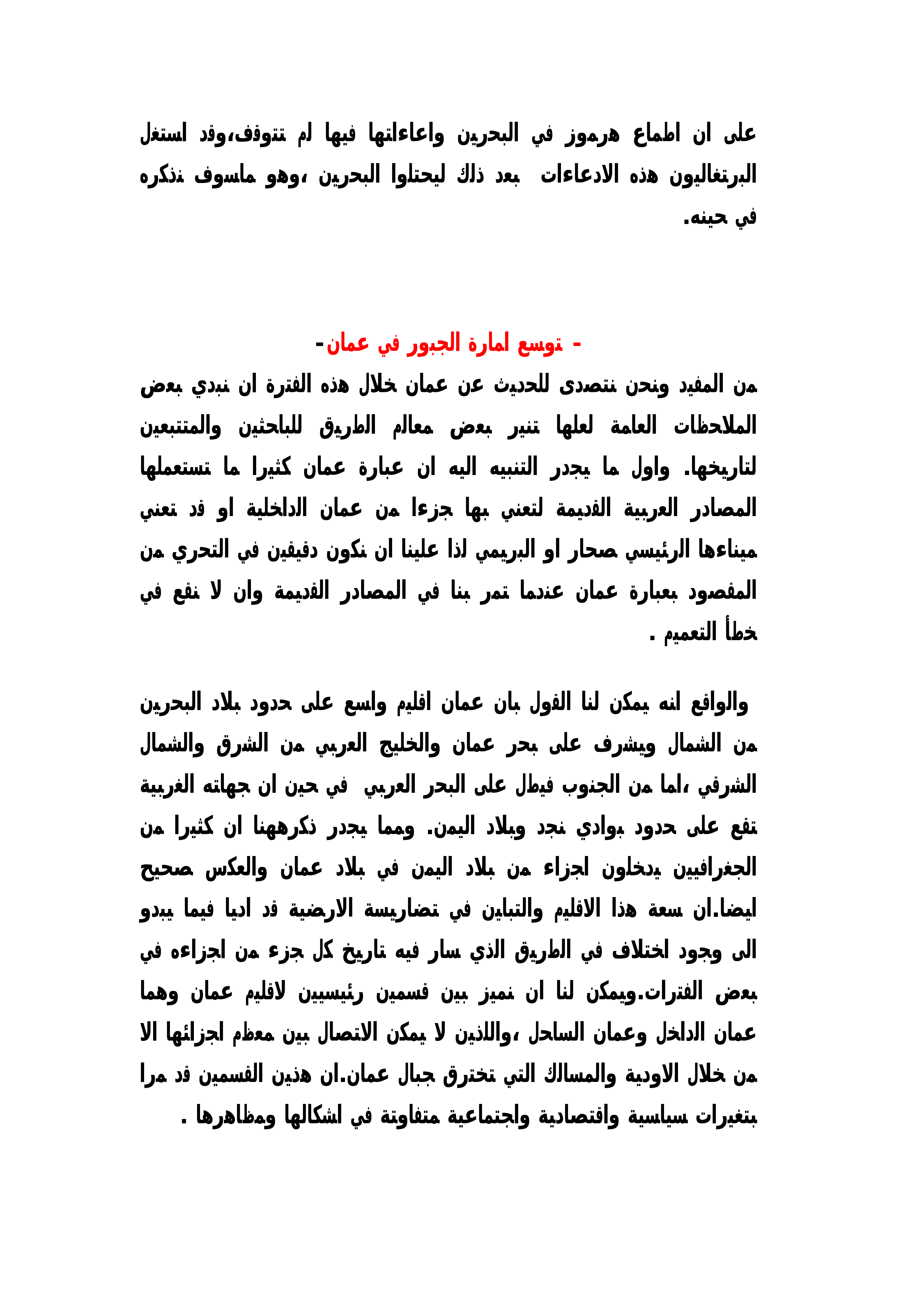
بقي هذا الاتفاق محترما الى حد كبير من قبل الطرفين ولسنوات طويلة لاحقة(55) بالرغم من ان مملكة هرموز لم تكن مرتاحة كل الارتياح لهذه الاتفاقية الجديدة لانها تعكس عجز هرموز وقدرة الجبور. ومهما يكن من امر فانه لم تمضي مدة على هذا الاتفاق حتى اضحت موانئ عمان –وهي اجزاء من مملكة هرموز- تحت رحمة الجبور ،لتغلغل قواتهم في عمان الداخل الامر الذي اثار بالتاكيد مخاوف شديدة لدى الهرموزيين. يضاف الى كل ذلك ان امارة الجبور لم تكن بالتاكيد تدفع المبالغ المقررة عليها لهرموز او على الاقل تتملص منها في بعض الاحيان.

وعليه كانت مملكة هرموز تنتظر الفرصة المناسبة للتخلص من هذه الاتفاقية الجديدة وسحق قوة الجبور، خصوصا بعد ان اصبحت مقاليد السلطة الحقيقية في المملكة بيد الوزير المحنك خواجة عطار. واتت الفرصة اولا بعد ان توفى السلطان اجود بن زامل وثانيا بعد ان انسحب البرتغاليون من الخليج العربي على اثر سعي قوات المماليك في مصر لضرب مراكزهم في الهند.

في جمادي الاول ١٥٠٧/٩١٣ اصدر خواجة عطار بيانا وزع في كافة انحاء مملكة هرموز ،اعلن فيه بانه لما كان في النية شن الحرب ضد الجبور فعلى كافة السكان القاء القبض على من يجدونه من البرتغاليين في منطقة الخليج وتسليمهم احياء الى السلطات، من اجل زجهم في هذه الحرب وان أي شخص يتماهل في ذلك سوف يكون جزاءه الموت. (٥٦)

على ان الامر الجدير بالملاحظة هنا هو انه على الرغم من ان الوزير خواجة عطار ربما اتخذ من اعتزامه شن الحرب ضد الجبور ذريعة لابعاد خطر التغلغل البرتغالي عن بلاده واستخدم الاسرى البرتغاليين اداة للمساومة معهم فيما لوعاودوا المجيء الى بلاده مرة اخرى،الا ان من المحتمل انه قد قصد فعلا الاستفادة من القابليات الحربية الجيدة للبرتغاليين في المعارك البحرية. مهما يكن من امر فان خواجة عطار لم يقم بحملة ضد الجبور الا بعد مرور اربع سنوات على بيانه هذا .

ففي عام ١٥١١/٩١٧ قام شخصيا بقيادة حملة بحرية كبيرة ضد جزر البحرين نجحت في احتلالها ،الا ان هذا الاحتلال كان لفترة قصيرة اذ قام الجبور باستغلال قوتهم البرية الضاربةفي عمان ودفعوا اليها قوات اخرى وحركوها نحو سواحل عمان وهددوا خواجة عطار باكتساح ممتلكات هرموز في الساحل العماني والاستيلاء على موانيها فيما اذا لم ينسحب من البحرين.ادرك خواجة عطار قوة موقف الجبور في مواجهة خطط ،ثم النتائج الخطيرة التي تتسبب في تهديد مملكة هرموز فيما لو نفذ الجبور تهديداتهم هذه،والتي سوف يكون من نتائجها اغلاق الخليج العربي في وجه السفن التجارية المتجهه الى هرموز وهذا يعني دمارا حقيقيا لها فما كان من خواجة عطار الا ا انصاع بسرعة لهذه التهديدات وانسحب من البحرين تاركا حكمها لامارة الجبور(٥٧).



على ان اطماع هرموز في البحرين وادعاءاتها فيها لم تتوقف،وقد استغل البرتغاليون هذه الادعاءات بعد ذلك ليحتلوا البحرين ،وهو ماسوف نذكره في حينه.

- توسع امارة الجبور في عمان -

من المفيد ونحن نتصدى للحديث عن عمان خلال هذه الفترة ان نبدي بعض الملاحظات العامة لعلها تنير بعض معالم الطريق للباحثين والمتتبعين لتاريخها. واول ما يجدر التنبيه اليه ان عبارة عمان كثيرا ما تستعملها المصادر العربية القديمة لتعني بها جزءا من عمان الداخلية او قد تعني ميناءها الرئيسي صحار او البريمي لذا علينا ان نكون دقيقين في التحري من المقصود بعبارة عمان عندما تمر بنا في المصادر القديمة وان لا نقع في خطأ التعميم .

والواقع انه يمكن لنا القول بان عمان اقليم واسع على حدود بلاد البحرين من الشمال ويشرف على بحر عمان والخليج العربي من الشرق والشمال الشرقي ،اما من الجنوب فيطل على البحر العربي في حين ان جهاته الغربية تقع على حدود بوادي نجد وبلاد اليمن. ومما يجدر ذكرهنا ان كثيرا من الجغرافيين يدخلون اجزاء من بلاد اليمن في بلاد عمان والعكس صحيح ايضا.ان سعة هذا الاقليم والتباين في تضاريسة الارضية قد اديا فيما يبدو الى وجود اختلاف في الطريق الذي سار فيه تاريخ كل جزء من اجزاءه في بعض الفترات.ويمكن لنا ان نميز بين قسمين رئيسيين لاقليم عمان وهما عمان الداخل وعمان الساحل ،واللذين لا يمكن الاتصال بين معظم اجزائها الا من خلال الاودية والمسالك التي تخترق جبال عمان.ان هذين القسمين قد مرا بتغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية متفاوتة في اشكالها ومظاهرها .

وكان ذلك بفعل الطبيعة الجغرافية لكل من من هذين القسمين والنشاط الاقتصادي الذي يمارس فيها اضافة الى ما تعرضنا له من تيارات بشرية سلمية كانت ام حربيةمن داخل الجزيرة او خارجها. على انه يجب الا يفهم ان التواصل الحضاري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي كان مقطوعا بين عمان الداخل وعمان الساحل ،بل بالعكس كان التواصل فيما بينهما قائما ومستمرا الى درجة كبيرة.على انه يمكن القول بان عمان الساحل كانت اكثر تاثرا بالمؤثرات الخارجية واكثر توجها نحو السواحل والجهات الساحلية المجاورة لها في الخليج والبحرالعربي .

بينما كانت عمان الداخل اكثر تاثرا وتفاعلا بالمؤثرات القادمة من داخل الجزيرة العربية . على ان عمان لم تصل الى درجة من القوة والنهوض السياسي والعسكري الا عندما كانا هذان الجزءان متحدين في سلطة سياسية واحدة. ومهما يكن من امر فان عمان الساحل خلال الفترة التي نبحث فيها كانت تشكل جزءا اساسيا من اراضي مملكة هرموز ،بينما كانت عمان الداخل يخضع جزء كبير منه لسلطة امراء النبهانيين الذين كانت سلطتهم ونفوذهم خلال هذه الفترة التي ندرسها تعاني الضعف والانحلال.

لقد كان عمان الشمالي اكثر اجزاء بلاد عمان انفتاحا على بلاد البحرين واقرب المناطق اليها. لذا كان من الطبيعي ان تتعرض هذه الاجزاء الى تغلغل القبائل النجدية في اجزائها والذي يبدو لنا ان قبائل بني عامر بقيادة آل جبر اخذت تتغلغل في هذا الجزء منذ عهد الشيخ زامل بن حسين الجبري، اذ استقر قسم كبير منها هناك. ويرى ولكنسون- المتخصص في شؤون عمان- ان بني عامر كانوا آخر مجموعة قبلية استقرت في عمان(٥٨).

لقد شهدت عمان الداخل منذ الربع الاول من القرن التاسع/الخامس عشر محاولة الاباضيين استعادة نفوذهم السياسي السابق على عمان مستفيدين من النفور والاستياء العام الذي اخذ يظهره السكان نحو النفوذ الهرموزي

المتحكم في موانئ عمان وكذلك نحو الحكام النبهانيين الذين اشتد ضعفهم وفسادهم وجورهم. لذا فقد اشتد الصراع بين النبهانيين والاباضيين وادى الى تدخل قوة خارجية في هذا الصراع . وقد تزايد هذا الصراع بشكل خاص في النصف الثاني من ذلك القرن.

فعندما نجح امام الاباضية عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي في انتزاع الحكم من النبهانيين وتمتع بالسلطة عدة سنوات قام ضده سليمان بن سليمان النبهاني واطاح به (٥٩) واخذ يمارس حكما اتصف بالتعسف والفساد، الامر الذي اثار ضده استياءا واسعا وقد عمل الاباضيون مرة اخرى تحت زعامة الامام عمر بن الخطاب الخروصي على التخاص من سليمان فتوجه عمر الى الاحساء طالبا المساعدة من اقوى زعيم في الجزيرة العربية السلطان اجود بن زامل. ولم يترك السلطان اجود هذه الفرصة للتدخل في شؤون عمان تضيع عليه وكان لاشك يتطلع اليها منذ مدة ،اذ قد وجد نفسه في موقف لا يختلف عن موقف القوى السياسية التي سبق لها ان بسطت سيطرتها على شرقي الجزيرة العربية ،ثم قاتلت من اجل عمان.

فالخوارج والقرامطة والعيونيون والعصفوريون ومن تلاهم ايضا كالسعوديين والمصريين والعثمانيين كلهم سلكوا نفس الطريق ولنفس الهدف .يضاف الى ذلك ان السلطان اجود بوقوفه الى جانب زعيم الاباضيين ضد سليمان النبهاني الذي يرتبط بصلة عائلية قوية بملك هرموز والارتكاز على الاراضي العمانية للضغط على ممتلكاتها الواقعة على امتداد عمان الساحل.وعلى كل حال ان الاستراتيجية التي رسمها السلطان اجود في ايجاد موطئ قدم لامارته في عمان قد حصد فوائدها خلفاؤه.

ومهما يكنمن امر فانه في عام ١٤٨٧/٨٩٣ ارسل السلطان اجود قوات كثيفة الى عمان بقيادة ابنه سيف لمساندة عمر بن الخطاب الخروصي وقد نجحت هذه القوات في طرد زعيم النبهانيين سليمان بن سليمان وتنصيب

عمر الخروصي حاكما على عمان الداخل.لقد كان من شروط الدعم العسكري الذي قدمه الجبور للاباضيين ان يقوم الاخيرون بدفع جزء من حاصلات عمان الزراعية اليهم كل عام (٦٠).

وان هذا التدخل العسكري للجبور في عمان وما تضمنه من شروط كان بداية لان يمارس الجبور نفوذيا سياسيا واقتصاديا واسعا في عمان اخذ يزداد مع الزمن ،خصوصا وان الاوضاع الداخلية المضطربة لعمان كانت عاملا مساعدا على توسيع نطاق هذا النفوذ وتقويته.كما يجب ان لا ننسى الدواعي التجارية التي تدفع الجبور للمحافظة على دوام تماسهم بالمنافذ البحرية التي تربطهم بتجارة المحيط الهندي وتمكنهم من توسيع احتكارهم لتجارة الخيول. ان ماذكرته المصادر البرتغالية من ان الجبور كانوا قد سيطروا على ظفار ايضا هي مسالة واردة ونتيجة منطقية لنفوذهم الواسع في عمان ولطموحهم التجاري. يضاف الى ذلك الدواعي الامنية لامارة الجبور التي كانت هي الاخرى تدفعهم الى تثبيت اقدامهم هناك،خاصة وانهم في صراع مستمر مع مملكة هرموز.لذا يمكن القول بان قسما كبيرا من عمان قد اصبح ضمن دائرة نفوذ الجبور.ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان المصادر العمانية تتجاهل – ربما عن عمد – دور السلطان اجود بن زامل في تنصيب الامام عمر بن الخطاب الاباضي حاكما على عمان. على الرغم من ان التاريخ الذي تورده هذه المصادر لتنصيب عمر بعد ازاحة سليمان النبهاني يتطابق كل التطابق والتاريخ الذي اورده ابن ماجد النجدي المعاصر للاحداث والقريب من موقع وقوعها(٦١).

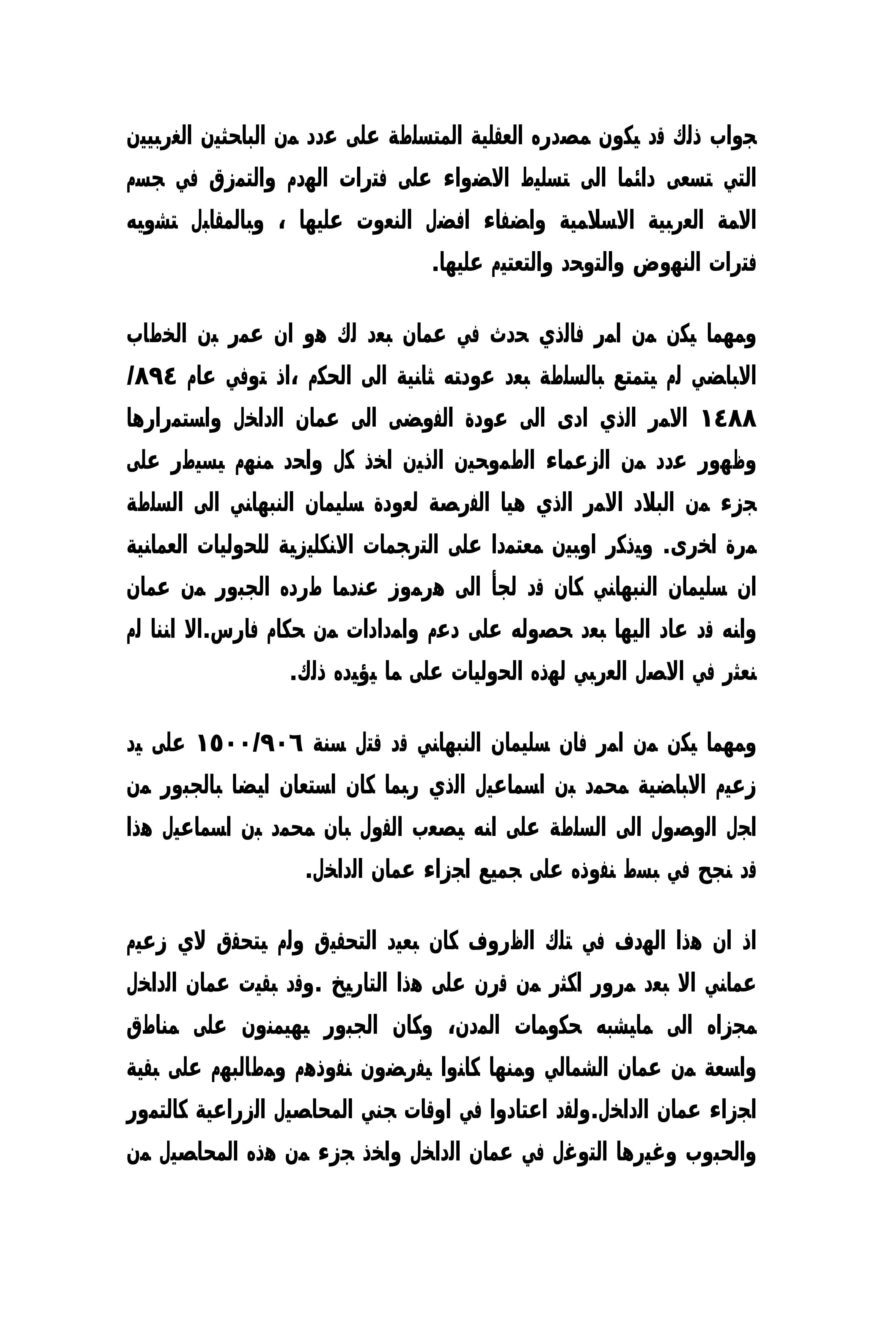
ان مما يلفت النظر ان السخاوي جعل قيام السلطان اجود يظم عمان الى دائرة نفوذه قبل اعادة سلفورشاه الى عرش هرموز بدعم من اجود وقد حذا الجزيري حذو السخاوي في ذلك(٦٢). قبل مواصلة البحث عن علاقة الجبور بعمان يستحسن بنا ان نعلق على قول جيمس بلكريف من ان العهد

الاستبدادي لابن اجود في البحرين قد انتهى عام ١٤٨٧(٨٩٢) على اثر هجوم عماني ادى الى تعيين عمر بن الخطاب حاكما على الجزيرة (٦٣). ان هذا القول على الرغم من انه يفتقر الى أي سند تاريخي ويتعارض مع المصادر الموثوق بها التي اكدت بان جزر البحرين قد اصبحت قبل عام ٨٨٠ /١٤٧٥ جزءا من امارة الجبور واستمرت كذلك لمدة نصف قرن تقريبا ،أي حتى الغزو البرتغالي – الهرموزي لهذه الجزيرة عام ١٥٢١/٩٢٧،فان الذي يلفت النظر فيه هو ان بلكريف قد قلب الحقائق التاريخية فبدلا من ان يقول ان اجود بن زامل قد غزا عمان عام ١٤٨٧/٨٩٣-٨٨ ونصب عمر بن الخطاب حاكما على تلك البلاد نجده يجعل من عمر محررا لجزيرة البحرين من ظلم الجبور.

على ان الوصف الذي اطلقه بلكريف على حكم الجبور في البحرين بانه جائر يصعب قبوله لان معاصري السلطان اجود كالسمهوري والسخاوي قد نعتوه باوصاف تدل على خلاف ذلك(٦٤) يضاف الى ذلك ان وصف ابن ماجد لجزيرة البحرين في ظل حكومة الجبور تظهر بان هذه الجزيرة كانت مزدهرة وعامرة بالسكان وضروب النشاط الاقتصادي المختلف (٦٥).

ان هذا الوضع المزدهر قد استمر ايضا في ظل الامراء الذين خلفوا اجود بن زامل ونستدل على ذلك من تقرير برتغالي مرسل من البحرين الى لشبونة عام ١٥٠٦ (٩١٢) وقد ذكر هذا التقرير ايضا ان هذه الجزيرة يحكمها ملك عربي (٦٦) كما ان الاوصاف التي اطلقها ابن اياس على السلطان مقرن سلطان البحرين والاحساء والقطيف تدل هي الاخرى على ترفعه عن الجور والتعسف وبلاده كانت تنعم بالرخاء والازدهار(٦٧).

قبل ان نختتم ملاحظاتنا هذه لابد ان نتساءل،لماذا اختار بلكريف هذه الفترة بالذات دون غيرها من تاريخ جزيرة البحرين،حيث توحدت اجزاء واسعة من جزيرة العرب في ظل حكومة عربية ولكي يصفها بالجور والاستبداد؟ ان



جواب ذلك قد يكون مصدره العقلية المتسلطة على عدد من الباحثين الغربيين التي تسعى دائما الى تسليط الاضواء على فترات الهدم والتمزق في جسم الامة العربية الاسلامية واضفاء افضل النعوت عليها ، وبالمقابل تشويه فترات النهوض والتوحد والتعتيم عليها.

ومهما يكن من امر فالذي حدث في عمان بعد لك هو ان عمر بن الخطاب الاباضي لم يتمتع بالسلطة بعد عودته ثانية الى الحكم ،اذ توفي عام ٨٩٤/ ١٤٨٨ الامر الذي ادى الى عودة الفوضى الى عمان الداخل واستمرارها وظهور عدد من الزعماء الطموحين الذين اخذ كل واحد منهم يسيطر على جزء من البلاد الامر الذي هيا الفرصة لعودة سليمان النبهاني الى السلطة مرة اخرى. ويذكر اوبين معتمدا على الترجمات الانكليزية للحوليات العمانية ان سليمان النبهاني كان قد لجأ الى هرموز عندما طرده الجبور من عمان وانه قد عاد اليها بعد حصوله على دعم وامدادات من حكام فارس.الا اننا لم نعثر في الاصل العربي لهذه الحوليات على ما يؤيده ذلك.

ومهما يكن من امر فان سليمان النبهاني قد قتل سنة ١٥٠٠/٩٠٦ على يد زعيم الاباضية محمد بن اسماعيل الذي ربما كان استعان ايضا بالجبور من اجل الوصول الى السلطة على انه يصعب القول بان محمد بن اسماعيل هذا قد نجح في بسط نفوذه على جميع اجزاء عمان الداخل.

اذ ان هذا الهدف في تلك الظروف كان بعيد التحقيق ولم يتحقق لاي زعيم عماني الا بعد مرور اكثر من قرن على هذا التاريخ .وقد بقيت عمان الداخل مجزاه الى مايشبه حكومات المدن، وكان الجبور يهيمنون على مناطق واسعة من عمان الشمالي ومنها كانوا يفرضون نفوذهم ومطالبهم على بقية اجزاء عمان الداخل.ولقد اعتادوا في اوقات جني المحاصيل الزراعية كالتمور والحبوب وغيرها التوغل في عمان الداخل واخذ جزء من هذه المحاصيل من

السكان باسم رسوم الحماية مهددين باستعمال القوة او باللجؤ اليها في بعض الاحيان(٦٨).

ان مما يؤيد سعة نفوذ الجبور في عمان هو ان البرتغاليين عندما دخلوا الخليج العربي لاول مرة عام ١٥٠٧ تحدثوا عن قوة الجبور ونفوذهم الكبير في عمان. واق ذكر البوكرك ان عمان الداخل كانت خاضعة لملك الجبور الذي وصفه بانه يحكم ايضا جميع جزيرة العرب. وبالرغم من طابع المبالغة في تقرير البوكرك الا انه يحمل في ثناياه جزءا كبيرا من الحقيقة . كما ان باروس هو آلآخر قد تحدث عن قوة الجبور في عمان الداخل وذكر بان هجماتهم مستمرة عليها. كما انهم كانوا يشكلون خطرا جديا على اراضي مملكة هرموز على امتداد عمان الساحل بل وعلى وجودها في تلك المناطق.ولا ادل على قوة نفوذ الجبور في عمان من انه عندما حاصر البوكرك مسقط عام ١٥٠٧ سارع احد زعماء الجبور على راس قوة كبيرة لنجدة المدينة(٦٩).

نفوذ الجبور في نجد وظفار

لاشك بان لاقليم نجد اهمية كبيرة في حياة امارة الجبور العامرية،فهو احد المواطن الرئيسة لمعظم بطون بني عقيل منذ عصور ماقبل الاسلام ،وقاعدة من قواعدهم للانطلاق نحو الشرق وان مغادرة بعض البطون والافخاذ لهاذا الموطن لا يعني دائما ان كافة افخاذ القبيلة قد غادرته وقطعت صلتها به. ان هذه الملاحظة تنطبق كل الانطباق على بني عامر مثلما تنطبق على بطون عقيل الاخرى ،اذ بقي قسم منهم في مواطنه الاصلي وعلى صلة مستمرة باخوانه الذين هاجروا نحو الشرق.

والواقع ان نجد الاوسط وبلاد البحرين قد شكلتا- بامتدادها شمالا نحو البصرة وجنوبا نحو عمان- اقليما متكاملا من جوانب عدة وكانا وثيقي الصلة تماما ببعضهما البعض عبر العصور التاريخية، ولم تكن رمال الدهناء والصمان على الاطلاق حاجزا طبيعيا يمنع هذه الصلة بل قد يكون العكس من ذلك ، اذ ان غنى مراعي هذه البوادي والوفرة النسبية لمياه الآبار فيها سهل كثيرا من الاتصال البشري المستمر فيما بين البحرين ونجد واذا كانت بلاد البحرين اكثر غنى ووفرة من نجد مما جعلها تشكل عامل جذب لسكان نجد بسبب بيئتهم الصحراوية الطاردة نحو الخارج، اضافة الى ذلك فان البحرين كانت نافذة لسكان نجد على البحر وسوقا يمكن لهم الوصول منها على كثير من البضائع، كما ان نجدا هي الأخرى مهمة لبلاد البحرين اذ انها تمدها دائما بالعنصر العربي المتصف بحيويته في المجالين العسكري والتجاري .

ويضاف إلى ذلك بان نجدا سوقا هاما لتصريف جزء كبير من تجارة بلاد البحرين ومعبر ومنطلق للقوافل التجارية مابين الخليج العربي والحجاز واليمن .بالرغم من وجود تباين في الدور الذي كان يلعبه كل اقليم منهما في صنع الأحداث التي كانت تقع فيهما أو فيما حولهما.

عندما نجح بنو عامر في تاسيس امارة لهم في بلاد البحرين بزعامة اميرهم عصفور بن راشد في الربع الاول من القرن السابع/ الثالث عشر نجحوا ايضا وفي الوقت نفسه في ضم نجد الى امارتهم. وعلى الرغم من زوال امارتهم فالذي يبدوا لنا انهم قد بقوا في نجد،مثلما بقوا في البحرين يملكون نفوذا واسعا حتى استطاعوا مرة ثانية تاسيس امرة لهم بزعامةالشيخ زامل بن حسين بن ناصر الجبري. لقد اعطى الامير زامل واولاده بعده اهتماما كبيرا للاوضاع في نجد، ولا غرابة في ذلك فنجد موطنهم الاصلي الذين يعتزون بالانتماء اليه وينتهي سلسلة نسبهم به(النجدي) ولقب اجود اشهر امرائهم بـ(رايس اهل نجد)،(٧٠) ان مصدر اهتمام الجبوربنجد ربما كان مبعثه عاملين/الاول عسكري

اذ ان نجدا تمدهم بالعنصر البشري الوفير العدد الذي يمكن ان يحقق لهم تفوقا عسكريا في المعارك التي يخوضها في شرقي الجزيرة العربية.

اضافة الى انها من الناحية الاستراتيجية تشكل ظهيرا لهم يمكن الاستناد اليه. وثانيا ان اقليم نجد هو منطلقا ومعبرا للقوافل التجارية مابين شرق الجزيرة وغربها وجنوبها ايضا لذا فهي تحتل اهمية تجارية خاصة.وقد حرص امراء الجبور على تامين هذا الطريق وما قيام امرائهم شخصيا بقيادة قوافل الحجيج الا تعبيرا عن حرصهم على سلامة هذا الطريق الحيوي.

واذا ماعرفنا بان قوافل الحجيج كان يرافقها عدد غير قليل من المحاربين لحراستها ادركنا ان امراء الجبور كانوا في الواقع يقومون عند مرافقة قافلة الحج بمظاهرة عسكرية لزرع الخوف في نفوس معارضيهم من رؤوساء القبائل المختلفة ،اضافة الى كسب الاصدقاء. على ان الامر الذي يجدر ملاحظته هنا حول الحملات العسكرية التي كان يقوم بها امراء الجبور ضد نجد هو ان البعض منها كان تاريخه يتوافق كل التوافق مع الاحداث التي كانت تقع في شرق الجزيرة العربية وعلى سواحل الخليج العربي مما يجعلنا نميل الى القول بان القوى المعارضة في نجد كانت تتربص بامارة الجبور وتستغل الاوضاع الحرجة التي كانت تمر بها في بعض الفترات.

ولتاكيد ذلك نلاحظ ان ابن بسام قد ذكر ان اجود بن زامل قد قام بحملة ضد واحات الخرج عام١٤٨٣/٨٨٧-٨٣. وهذا التاريخ ربما كان يتوافق مع هجوم هرموزي على البحرين.اما الحملة الثانية التي قد ذكر بان اجود قد قام بها ضد نجد فقد كانت عام ١٤٨٥/٨٩٠،وهي تتوافق كل التوافق مع الهجوم الذي قام على البحرين. ذكر ايضا ان اجود قد وجهها ضد منطقة الخرج فقد كانت عام ١٤٨٨/٨٩٣ وهي نفس السنة التي كانت فيها قوات الجبور بقيادة سيف بن اجود منشغلة بالتدخل في عمان لصالح الاباضيين ضد النبهانيين. ومما هو جدير بالذكر ان السخاوي كان قد ذكر ان اجود قد قام بالحج في هذه السنة أي ٨٩٣/

١٤٨٦ مما يفرض علينا تساؤلات لامفر منها فهل توجهت هذه الحملة الى مكة كما ذكر السخاوي ام كان هدفها القضاء على المتمردين في نجد كماذكر ذلك بن بسام، ام كانت تسير نحو هذين الهدفين في آن واحد،ام هناك حملتان مختلفتان في التوقيت والهدف؟فاذا كان الفرض الاخير صحيحا فذلك يعني ان يكون اجود قد قام باعمال ثلاثة كبيرة في عام واحد، وهي الحملة ضد عمان والحملة ضد نجد وحملة الحج(٧١).

مهما يكن من امر فاننا امام حملة رابعة قد ذكر ابن بسام ايضا بان اجود قد قام بها عام ١٤٩٤/٩٠٠-٩٥ ضد بلاد نجد،وتاريخها يتفق مع الحملة التي قام بها الهرموزيون ضد جزيرة البحرين.

بقي ان نذكر ان هناك حملة خامسة يرجح انها قامت في عهد خلفاء اجود.اذ يذكر ان ابن بسام بان الجبور قاموا بحملة ضد نجد عام ١٥١٠/٩٢٦-١١ وهي توافق نفس السنة التي قامت بها حملة هرموزية بقيادة خواجه عطار باحتلال البحرين لفترة قصيرة.

واخيرا يذكر ابن بسام قيام الجبور بغزو نجد عام ١٥٢٢/٩٢٩-٢٣، واذا كان هذا التاريخ دقيقا فان هذا الهجوم يكون وقع مباشرة بعد استيلاء البرتغاليين والهرموزيين على جزيرة البحرين وقتلهم سلطان الجبور مقرن بن زامل. يتضح مما ذكرناه اعلاه وجود دلائل قوية على ترابط الاحداث التي كانت تقع في نجد وشرق الجزيرة العربية مما يساعدنا على تفسير سبب بعض هذه الحملات والظروف التي كانت تؤدي الى وقوع تمردات ضد سلطة الجبورفي نجد(٧٢).
يجدر بنا قبل ان ننهي حديثنا عن علاقة الجبور بنجد ان نشير ايضا الى ان المصادر البرتغالية تنفرد بالاشارة الى ان ظفار كانت احد الاقاليم الخاضعة للجبور.مثلها مثل عمان وبلاد البحرين ونجد،وبان الجبور كانوا قد اتخذوا منها منفذا رئيسيا لتصدير الخيول الى الهند ،وتلك التجارة التي احتكروها في شرق

الجزيرة العربية ودرت عليهم ارباحا وفيرة وحركت اطماع البرتغاليين من اجل السيطرة عليها وانتزاع فوائدها من الجبور.

لقد تحدثت هذه المصادر نفسها عن وجود اماكن متعددة في كل من عمان والبحرين لتربية هذه الخيول والعناية بها وتجميعها ومن ثم تصديرها الى الاسواق الخارجية وخاصة في الهند،حيث يكثر الطلب عليها وتعز اسعارها(٧٣).

والذي يبدو لنا ان الجبور كانوا قد اتخذوا من ظفار منفذا لتصدير بضاعتهم من الخيول والحصول ايضا على بضائع الهند خصوصا بعد ان رأوا ان كثيرا من السفن قد اخذت تتحاشى الدخول الى الخليج العربي وتتوجه الى موانئ البحر الاحمر، وكانت ظفاركثيرا ماترسو به هذه السفن في طريق الذهاب والاياب.

والذي يبدوا لنا ايضا ان الطريق الذي كانت تسلكه قوافل الجبور للوصول الى ظفار يسير بمحاذاة الاطراف الغربية لعمان،كما انه من المحتمل ايضا انهم كانو يسلكون طريقا آخر ينطلق من نجد الى ظفار عبر وادي الدواسر وبعد رحلة شهر ونصف يصلون الى بلاد مهرة ومنها الى ظفار،وقد اعتادت قوافل عقيل ان تسلك هذا الطريق منذ عصور سابقة (٧٤) لذا يمكن ان نقول ان بعض الحملات التي قام بها امراء الجبور نحو نجد كانت تهدف الى المحافظة على هذا الطريق التجاري الذي يربط نجدا بكل من اليمن وظفار.

متى بدأ حكم اجود ومتى انتهى ومن هم اولاده؟

مما لاشك فيه ان عصر السلطان اجود يمثل عصر ازدهار وقوة واتساع امارة الجبور ويبدو ان هذا الحكم كان يتمتع بمؤهلات ومزايا جيدة وكفاءات عالية حملت بعض معاصريه من المؤرخين على ان يضفوا عليه افضل النعوت ،فقد وصفه السمهودي برئيس اهل نجد وراسها سلطان البحرين والقطيف فريد الوصف والنعت في جنسه،صلاحا (وافضالا) وحسن عقيدة ،ابو الجود اجود بن

جبر ايده ا (٧٥)كما ان السخاوي قد وصفه بانه قد...صار رئيس نجد ذا اتباع يزيدون على الوصف مع فروسية، تمددت في يدي جراحات كثيرة بسببها،وله المام ببعض الفروع المالكية واعتناء بتدريس كتبهم، مصاحبا للتصديق والبذل(٧٦) لقد حمل اجود بن زامل لقب السلطان هو ومن اعقبه من امراء الجبور، وعلى الرغم من ان هذا اللقب لقب دنيوي عرف منذ العهد السلوجقي ،الا انه يعي ان حامله هو حاكم مستقل يتمتع بكل السيادة في بلاده(٧٧).

ان الاشارات الواردة في المصادر المختلفة تفيدنا بان السلطان اجود لم تقتصر على جهوده على توسيع الامارة وتثبيت دعائمها وتحقيق الامن والاستقرار وترويج النشاط الاقتصادي وتوسيع الفعاليات التجارية فحسب،بل سعى الى تنظيم الادارة وتحقيق العدالة بتنصيب قضاة وشهود لهم بالمعرفة والاستقامة كما انه قد سعى الى ترويج التعليم باغراء عدد من العلماء البارزين للعمل في بلاده وكان يستغل فرصة قيامه بالحج فيلتقي هناك بالبعض منهم ويجلبهم معه وكان عدد منهم من بلاد المغرب العربي. ولما كان الجبور يتبعون المذهب المالكي فقد سعى الى نشره في بلاد البحرين وترويجه. ولم يحقق نجاحا ملموسا اذ كان المذهب الشيعي هو السائد كما يبدو في العهود التي سبقت عهده في هذا الميدان فحسب بل انه نجح في نشر المذاهب السنية عموما، بعد الجبور(٧٨). ومهما يكن من امر فان بداية حكم اجود ونهايته من الامور التي لا يزال يكتنفها الغموض والتي لابد من محاولة الوصول الى معرفتها والاهتداء اليها ان الادلة التي نمتلكها تجعلنا نميل الى ترجيح ان بداية عهد اجود كانت في حدود عام ١٤٧١/٨٧٥-٧٢ تقريبا' وهذه الادلة هي اولا ان السخاوي حين ترجم للقاضي جمال الدين عبد ا   بن فارس التازي قال عنه انه غادر مصر عام ١٤١٧/٨٧٦ وذهب الى مكة حيث اقام فيها فترة يسيرة ثم منها توجه الى بلاد البحرين برفقة سلطانها اجود بن زامل ومكث في خدمته هناك مدة خمسة عشر عاما كانت

نهايتها سنة ٨٠٣ اذ حضر في ذلك العام موسم الحج بصحبة السلطان اجود ومات بعد موسم الحج بقليل، (محرم عام ٨٩٤/كانون الاول١٤٨٨)(٧٩).

والذي يفهم من هذا النص هو ان اجود بن زامل كان ولابد سلطان على بلاد البحرين قبل عام ١٤٧٢/٨٧٦ أي قبل ان يلتحق به القاضي المذكور في موسم الحج من هذه السنة.

ثانيا- ان تنصيب سلفور بن تورشاه على عرش هرموز بمساعدة من اجود قد تم عام ١٤٧٥/٨٨٠(٨٠). وان لجوء سلغور الى الاحساء لطلب المساعدة من اجود لابد ان يكون قد وقع قبل هذا التاريخ ،يكون ذلك قد حدث عام ٨٧٧/ ١٤٧٣،اذ اننا نجد ان رسالة الوزير البهمندي محمود كاوان المؤرخة في رمضان ٨٧٧/شباط ١٤٧٣ تشير الى وجود اضطرابات في هرموز،مما يحملنا على القول بان هذه الاضطرابات مرتبطة بالصراع حول العرش بين الاخوين شاه ويس وسلفور شاه،الذي انتهى في مرحلته الاولى بطرد سلفور من العرش ولجوئه الى عمان التي غادرها الى الاحساء حيث اتصل باجود هناك علما بان شاه ويس لم يتمتع بالسلطة اكثر من سنتين(٨١).

وخلاصة ذلك انه لابد ان يكون اجود قد تولى السلطة في امارة الجبورقبل التواريخ المشار اليها اعلاه وانه كان قد حقق من الشهرة والقوة مما جعل سلفور شاه يلجأ الى الاستعانة به.

ثالثا- لقد بعث وزير مملكة الدكن البهمنية(١٣٤٧-١٥٢٦)محمود كاوان برسالة الى السلطان اجود بنزامل يطلب فيها ان تقوم علاقة صداقة وتعاون بين الدولتين.ان كاتب هذه الرسالة وهو المؤرخ ينمديهي سكرتير الوزير المذكور كان قد دخل في خدمته عام ١٤٧٣/٨٧٨،وبما ان الوزير محمود كان قد توفى عام١٤٨١/٨٨٦ فلابد ان تكون الرسالة قد كتبت مابين هذين التاريخين،وان مجرد تلقي السلطان اجود خلال هذه الفترة رسالة من احدى اقوى الممالك

الهندية وحرصها على صداقته وتوثيق روابطها به،يدل دلالةواضحة على انه اصبح لاجود نفوذ وشهرة واسعتان (٨٢)،مما يعد دليلا للقول بان اجود لابد ان يكون قد تولى الامارة قبل عام ١٤٧٥/٨٨٠.

رابعا- لقد ذكر باربارو Barbaro (ت ١٤٩٤/٩٠٠)

سفير البندقية الى سلطان دولة آق قوينلو في ايران حسن الطويل (اوزون) في تقريره عن رحلته التي قام بها عام ٨٧٨-١٤٧٤/٧٩،ان الساحل هذه الاشارة من باربارو ربما كان يقصد بها بلاد الجبور على امتدادها واذا صح تفسيرنا هذا فان السلطان اجود- الذي خلف اخاه سيف- كان يحكم تلك البلاد ويساعده في ادارتها ولداه زامل وسيف، او اخوه هلال واحد اولاده المذكورين سابقا،ان هذا الدليل بالاضافة الى انه يعزز الادلة السابقة فانها هي الاخرى تعززه.

ومهمايكن من امر فانه من اجل استكمال معرفة طول الفترة التي استغرقها حكم السلطان اجود بصورة تقريبية ،لابد لنا من محاولة تحديد نهاية حكمه ايضا،وذلك باستعراض ماهو متوفر لدينا من نصوص ومناقشة ما تواضع البعض على قبوله منها.

لقد ذكر العصامي –(ت ١٦٩٨/١١١١-٩٩) ان السلطان اجود قد حج عام ١٥٠٦/٩١١ في جمع يزيدون على الثلاثين الفا(٨٤)، واورد ابن بشير هذا النص تقريبا الا انه جعل السنة التي ادى بها اجود الحج هي عام ٩١٢'وتابعه في ذلك ابن عيسى وابن بسام (٨٥)ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان كلا من ابن لعيون والشيخ حمد الجاسر قد نسبى الى العصامي قوله بان اجود قد حج عام ٩١٢، وهذا مالم نجده في تاريخه.(٨٦) كما ان مما يلفت الانتباه ان شيخنا الجاسر –في احد هوامشه على تاريخ ابن عيسى- نقل عن العصامي قوله بان اجود قد حج عام ٩١١،كمانقل عن ابن فهد قوله بان محمد ابن اجود هو الذي حضر موسم الحج عام ٩١٢ . وكان الجاسر بذلك يصحح قول ابن عيسى بان

اجود قد حج عام ٩١٢(٨٧) لكنه عاد في بحثه عن الدولة الجبرية الى القول بان ابن فهد والعصامي وغيره من مؤرخي مكة قد ذكروا بان اجود قد حج عام ٩١٢(٨٨). والواقع ان المؤرخين الذين نسب اليهم الجاسر القول الاخير لم يقولا به باعتراف الجاسر نفسه في تعليقه على ابن عيسى،ولو ان بحث الشيخ الجاسر كان قد نشر قبل صدور تاريخ ابن عيسى لقلنا بان الشيخ الجاسر كان يحاول تصحيح الخطا الذي ورد في بحثه.لكن الذي حدث هو العكس وعلى كل حال فان قبولنا لبعض النصوص التي تشير الى ان الشيخ اجود كان قد حضر موسم الحج عام ١٥٠٧/٩١٢ تعني ببساطة انه كان لايزال على قيد الحياة ،وانه كان على راس السلطة في امارة الجبور حتى ذلك العام وهذا الامر يصعب قبوله للاسباب التالية:-

اولا- ان الشيخ حمد الجاسر قد نقل لنا عن كل من ابن فرج (ت ١٦٠٢/١٠١٠) وابن فهد المكي(١٤٤٧/٨٥٠-١٥١٥/٩٢١)-وهما مؤرخان حجازيان عارفان باحداث الحجاز وقريبان من موقع حدوثها ومعاصران ويصعب تخطأتهما –مايفيد بان الشيخ محمد ابن اجود الذي كان سلطان البحرين والحسا والقطيف قد حضر الى مكة خلال موسم حج عام ١٥٠٧/٩١٢(٨٩).

وهذا يحملنا على القول بانه لابد ان يكون السلطان اجود قد توفى قبل هذا التاريخ ،وان النصوص التي تشير الى قيامه بالحج في هذا العام ماهي الا نصوص خاطئة.

ثانيا- اننا لوافترضنا جدلا صحة التاريخ الذي اورده العصامي والذي ينص على قيام الشيخ اجود ابن زامل بالحج عام ١٥٠٦/٩١١ فان معنى ذلك انه قاد قافلة الحج وله من العمر تسعون عاما او يزيد اذ انه قد ولد في رمضان ٨٢١/تشرين الاول ١٤١٨، وهذا امر يصعب قبوله نظرا لعدم قدرة من في مثل سنه على تحمل هذا العبء على الرغم من تصورنا بان هناك من يعينه على هذه المهمة . وعلينا ان نتذكر بان موسم الحج لذلك العام كان يقع في فصل الصيف،فكيف

يمكن لرجل مسن ان يقطع رحلة الحج الطويلة ذهابا وايابا في هجير الصيف وهو يحمل اعباء هذه السنين والمسؤليات الكبيرة. مهما يكن من امر فان هذه النقطة تجعلنا ايضا نستبعد ان يكون الشيخ اجود على قيد الحياة حتى ذلك التاريخ.

ثالثا- ان العصامي وهو المصدر الرئيس للقول بان اجود كان على قيد الحياة عام ١٥٠٦/٩١١، قد عاش بعد عصر اجود بقرنين من الزمن ولم يرد في تاريخه مايدل على معرفة بتاريخ امراء الجبور ، حتى اننا نجد انه يخطئ في معرفة الاسم الصحيح لوالد اجود.فقد ذكر بان اسمه زايد وليس زامل كما هو المتفق عليه(٩٠) واذا كان هناك تحريف قد وقع في الاسم عند النقل او الاستنساخ او الطبع-وهو يبدو كذلك-فاننا نميل ايضا الى الاعتقاد بان التاريخ الذي اورده العصامي عن قيام اجود بالحج في ذلك العام قد وصل الينا محرفا.

رابعا- ان تقارير البرتغاليين التي كتبت عند دخولهم للخليج عام ١٥٠٧/٩١٣ يفهم منها ان الشيخ اجود بن زامل قد فارق الحياة وان بلاد الجبور التي كانت تضم كل من ظفار وعمان وبلاد البحرين ونجد كانت تحكم من قبل ثلاثة اخوة، اكبرهم كان يقيم في عمان اما اخواه الاخران اللذان يعترفان بزعامته الكبرى على الجبور فيقيمان على سواحل الخليج العربي،وان احدهم كان يحكم جزيرة البحرين والقطيف.(٩١) ان هذه التقارير تتفق بشكل غير مباشر مع مااورده كل من ابن فرج وابن فهد من ان السلطة في هذا التاريخ كانت قد انتقلت الى ابن اجود.

مهما يكن من امر فان الذي نميل اليه –بعد التمحيص والتدقيق- هو ان السلطان ابن اجود بن زامل كان لايزال على قيد الحياة حتى عام ١٤٩٥/٩٠٠ مستندين في ذلك الى الاحداث التي وقعت في منطقة الخليج واشرنا اليها في ثنايا البحث وخاصة فيما يتعلق بعمان وبمملكة هرموز اضافة الى ما اورده ابن بسام من ان

اجود بن زامل قد قام بمهاجمة واحات الخرج عام ٩٠٠/١٤٩٤-٩٥ ثم سكوته الطويل عن الاشارة الى اسم اجود. اما ماذكره ابن بسام بخصوص قيام اجود بقيادة حملتين ضد القبائل المعادية له في عامي ٩١٦/١٥١٠-١١ او ٩٢٩/١٠٢٢-٢٣ فامر غير وارد،ولابد ان يكون ابن بسام قد وقع في خطا عند ذكر اسم اجود كقائد للحملتين،اذ لوفرضنا بان اجود لايزال حيا في احد هذين التاريخين فيكون قد بلغ من العمر السابعة والتسعين او المائة وثماني سنوات(٩٢).

إن التاريخ الذي نطمئن الى انه قريب من الصحة بخصوص نهاية حكم اجود هو عام٩٠٢/١٤٩٦-٩٧ أي انه كان قد بلغ الثمانين من العمرفي هذا التاريخ.ومما هو جدير بالذكر ان السخاوي قد توفي أيضا في هذه السنة،لذا لم ترد سنة وفاة اجود في مؤلفه حينما ترجم له كما تجدر الاشارة ايضا الى ان السخاوي حاول ان يترجم لاحد امراء الجبور وادرج اسمه ضمن تراجمه وهو اجود بن سيف بن زامل الجبري ولكنه لم يكتب امام اسمه سوى عبارة ((مات في)) (٩٣)- بقيت لنا كلمة اخيرة نقولها حول رواية العصامي عن قيام اجود بالحج عام ٩١١ ،وهي ان العصامي ربما يكون اراد ابن اجود فسقطت كلمة ابن او حذفت فسبب هذا الوهم او ان يكون هناك تحريف قد وقع في كتابة الرقم ٩٠١ فصار٩١١ واذا اصبح هذا الاحتمال الاخير فان هذا التاريخ سوف يتطابق مع ما افترضناه حول السنة التي انتهى فيها حكم اجود وهي سنة ٩٠٢.

ان النقطة الاخيرة التي تثير بعض الاشكالات ايضا حول اسرة بني جبر .هي اسماء اولاد اجود ومن الذي اعقبه في السلطة ؟.

اننا نعرف من المصادر الحجازية المعاصرة للجبور بان محمد ابن اجود كان يعرف في عام ٩١٢/١٥٠٦ بسلطان البحرين والحسا والقطيف(٩٤) اما المصادر البرتغالية فقد نصت-كما ذكرنا سابقا- على ان بلاد بني جبر الواسعة

حين دخل البرتغاليون الخليج عام ١٥٠٧/٩١٢ كان يحكمها ثلاث اخوة وان اكبرهم يقيم في عمان ويدين له اخواه الآخران بالرياسة وان احد هؤلاء الاخوين كان يحكم البحرين والقطيف (٩٥). والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو هل ان هذه المصادر كانت تشير الى محمد ابن اجود كزعيم اكبر للجبور اذا كان كذلك فلماذا لم تضف المصادر العربية الى القائمة اسم عماد في حين كانت جزءا هاما من ممتلكات الجبور ثم اين اسماء اولاد اجود الآخرين كسيف وزامل والتي اختفت ولم نسمع عنها شيئا بعد ذلك؟ وهل يصح ان نفترض ان المقصود بالابن الاكبر لاجود هو سيف وان محمد ابن اجود كان يحكم البحرين والاحساء والقطيف فقط؟

مهما يكن من امر فانه علينا ان نشير الى وجود اختلاف ايضا بين الباحثين حول اسماء اولاد اجود.ففي الوقت الذي يتفق فيه كل من ابن لعيون والشيخان محمد العبد القادر وحمد الجاسر على ان اولاد اجود هم ثلاثة وان احدهم اسمه مقرن، فانهما يختلفان حول اسماء الاثنين الاخرين فعند ابن لعيون ومحمد العبد القادر همازامل وسيف بينما هما عند الشيخ الجاسر هما علي ومحمد(٩٦).

اما الذي نراه فان اولاد السلطان اجود هم اربعة اولهم سيف الذي ذكره كل من ابن ماجد. والمعاصر له وابن لعيون والعبد القادر(٩٧).وثانيهم محمد وقد اورد ذكره ابن فرج وابن فهد المكي كما سبق ان نشرنا وثالثهم علي الذي انفرد بذكره الشيخ الجزيري(٩٨)ورابعهم زامل الذي ذكره ابن لعيون(٩٩).

ومن الجدير بالذكر ان باروس كان قد ذكر بان من بين الاشخاص الذين قدموا المساعدة لاعادة سلفور شاه الى عرشه هو Rees Camal of xilau وهي عبارة قد فسرها جان اوبين على ان المقصود بها هوريس كمال صاحب شيلاو(١٠٠)، بينما نميل الى القول بان المقصود بهذه العبارة موريس زامل حاكم مدينة سلوا التي تقع على خليج سلوا في شبه جزيرة قصر،واذا صح افتراضنا وانه –أي زامل- كان له دور نشط في حياة والده السلطان اجود.

بقيت علينا قضية مهمة تجدر مناقشتها هي صلة القرابة التي تربط مقرن باجود.فنحن لا نتفق مع القائلين ممن اشرنا اليهم سابقا بانه ابن لاجود وكما لا نتفق مع جورج رنتز فيما ذهب اليه من ان مقرن هو عم السلطان اجود(١٠١).

والذي نميل اليه بشدة هو ان مقرن ماهو الا حفيدا للسلطان اجود بن زامل ونحن في ذلك نتفق مع كل منكاسل والمؤرخ البرتغالي باروس، ولا نرى فيما علقه. المستشرق الفرنسي اوبين على راي باروس وخاص الى رفضه وبترجيح كون مقرن هو ابن لاجود(١٠٢) ما يجعلنا نتراجع عن افتراضنا هذا الذي تعززه الادلة التالية:-

اولا- ان تاريخ ابن لعيون هو المصدر الوحيد الذي ذكر بان مقرن هو ابن لاجود وعنه اخذ كل من الشيخ محمد العبد القادر والشيخ حمد الجاسر والبروفسور اوبين على ان الامر الذي تجدر الاشارة اليه هو ان عصر ابن لعيون بعيد عن عصر بني جبر وما اورده في تاريخه من معلومات تتعلق بهم هي يسيرة جدا ولاتعكس دراية صاحبها بتاريخهم او اهتمامه به،فنحن والحال هكذا لايمكن ان نعتبر ماذكره عن نوع صلة القرابة بين مقرن واجود معلومات قاطعة ،ويزيد عدم تمسكنا بقوله اذا عرفنا بانها محض اجتهاد منه.اما اذا كان ماروواه ابن لعيون مما نقله من مصدر آخر فتبقى المسالة بين القبول والرفض لحين معرفة نوعية هذا المصدر ودرجة صلته بتاريخ الجبور.

ثانيا- ان المصادر البرتغالية قد اوردت اسم مقرن هكذا ،مقرن بن زامل بينما اورده الجزيري بانه مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري وليس هناك من مصدر يذكر ان اسمه مقرن بن اجود. ان هذا الدليل بالرغم من وجاهته قد يضعفه احتمال آخر هو ان يكون مقرن قد لقب باسم جده مثلما فعل ابن ماجد عندما سمى سيف بن اجود بسيف بن زامل (١٠٣). الا ان كان ايراد اسم مقرن منسوبا الى زامل مقصودا يراد به التحديد.

ثالثا- عندما ترجم نجم الدين الغزي(ت ١٦٥١/١٠٦١) لصالح بن سيف الجبري وصفه بانه خال السلطان مقرن (١٠٤). والغزي اعتمد في معلوماته هذه على والده وجده اللذين كانا على صلة شخصية بصالح هذا. والسؤال الذي يتوارد على الذهن هو هل كان والد صالح اخا لاجود وهل هما من اولاد زامل بن حسين؟ اذا كان كذلك فكيف صالح خال مقرن ويكون مقرن في نفس الوقت ابنا لاجود؟ للجواب على ذلك هناك احتمالان اما ان تكون ام مقرن هي اخت صالح لامه، او يكون سيف اخا لزامل وعما لاجود فجاز لاجود الزواج بابنه سيف. ومما يلفت النظر في ترجمة الغزي لصالح انه قال بانه ابن سيف بن الحسين فهو لم يذكر زاملا كجد له. على كل حال فالاحتمال الاخير يتعارض مع ماأورده السخاوي من ان السيف واجود هما اخوان، ومن الصعوبة التشكيك بصحة ذلك خصوصا اذا ما علمنا بان السخاوي كان قد استقى معلوماته عن اجود من السمهودي الذي كان على معرفة شخصية باجود اذا كان لايمكن لنا التشكيك بان اجود وسيفا هما اخوان بن اولاد زامل فانه لايمكن لنا ايضا ان نميل بان يكون مقرن هو اخا لاجود وان يكون صالح بن سيف خالا له وابن عمه في الوقت نفسه، لذا فالذي نميل اليه هو ان يكون مقرن حفيدا لاجود وابنا لزامل ابن اجود لانه عند ذلك سوف يكون من الطبيعي جدا اقتران زامل بن اجود بابنة عمه سيف بن زامل بن حسين يكون بذلك صالح بن سيف بن زامل بن حسين خالا لمقرن بن زامل فقط وليس ابن عم له.

رابعا- لقد جاء في قصيدة جعيثن اليزيدي وهو يمدح مقرن بن زامل قوله:

نشأ بين سيف والغريري زامل

فيالك من عم كريم ووالد

(ومن) اجود سلطان قيس وركنها

عن الضيم او في المعضلات الشدايد (١٠٥)

والذي يفهم من هذه القصيدة ان سيفا هو عم المقرن وان زامل هو والده ونحن نعرف بان كلا من سيف وزامل هما ابنا اجود. هذا مع العلم بان الشاعر الجعيثن لم يصف في قصيدته اجود بانه والد المقرن. ويمكن ان يفهم من قصيدة هذا الشاعر المعاصر لمقرن بان مقرنا هو ابن زامل وحفيد لاجود .

خامسا- ان الشاعر الكليف قال مادحا مقرن

قد شاف بالاعمام مالا يرتضي

بالدار وقفى زاهد باعمالها

فان كان تبغي ماك هجر صادق

فاضرب بحسد السيف رؤوس رجالها

(١٠٦)

يفهم من ذلك ان بلاد الجبور كانت تحكم من قبل عدد من اعمام مقرن وان حكمهم كان غير مرض فحرضه الشاعر على الثورة ضدهم ونحن نعرف من تقارير البرتغاليين ان امارة الجبور الواسعة كان يحكمها ثلاثة من اولاد اجود فوصف الشاعر لهؤلاء الحكان بانهم اعمام لمقرن دليل قوي على ان مقرنا حفيد لاجود وليس بابن له.

سادسا- -ان الجزيري- وهو المؤرخ الذي زودنا باكثر المعلومات عن امراء الجبور –كان قد وصف الامير علي بن اجود بانه عم لمقرن (١٠٧) وهذا دليل آخر على ان مقرنا حفيد لاجود. ومما تجدر الاشارة اليه ان الشيخ حمد الجاسر وهو ممن يرون بان مقرن هو ابن لاجود قد وردت عنده الكلمة الاخيرة من عجز البيت الاول لقصيدة الجعيثن التي اوردناها هكذا ((ماجد)) بدلا من (والد) ، كما ان نص الجزيري الذي يشير فيه الى ان علي ابن اجود هو عم مقرن لا يتفق مع ماجاء عند الشيخ الجاسر من ان علي بن اجود قد تولى الامارة بعد

موت عمه اجود(١٠٨)، ولا نعلم اوقع خطأ مطبعي في كلتا الحالتين ام هو اجتهاد من الباحث لكي ينسجم مع ماذهب اليه من ان مقرنا هو ابن اجود.

مهما يكن من امر فاننا نميل الى التمسك على ضوء ما اوردنا من ادلة.بالقول بان مقرنا هو ابن زامل بن اجود بن حسين الجبري.

خلفاء اجود

لقد سبقنا فعرفنا في صفحات سابقة بانه في عام ١٥٠٧/٩١٢ كان محمد بن اجود يحمل لقب سلطان البحرين والحسا والقطيف وانه كان على جانب كبير من القوة وكثرة الاتباع اذ قد ذكر بانه في ذلك العام وبعد انقضاء موسم الحج بقليل أي في ١٧ ذي الحجة وصل محمد بن اجود الى مكة على راس جيش كثيف قدر بخمسين الف رجل ، وقيل بان مجيئه ومعه هذه القوة الكثيفة كان تلبية لطلب المساعدة في حفظ الامن والنظام في مكة ومنع تجاوزات بعض القبائل البدوية ، تقدم به اليه شريف مكة بركات(١٠٩). ان هذه الاشارة لتدل على ان دولة الجبور كانت لا تزال تتمتع بقوة ضاربة وبنفوذ واسع في معظم اجزاء الجزيرة العربية وتؤكد ذلك ايضا التقارير البرتغالية خلال تلك الفترة بالرغم من احتمال مبالغتها(١١٠).

وعلى الرغم من اننا لا نعرف الا القليل جدا عن الاحداث التي واجهتها امارة الجبور في عهد السلطان محمد بن اجود الا اننا نعرف انه قد تزامن عهده مع دخول البرتغاليين الى الخليج العربي وانتشارهم في البحار العربية وما نتج عنه من اضطراب التجارة في هذه المياه فقد استطاع البرتغاليون منذ نهاية القرن الخامس عشر الوصول الى غرب الهند، وكانت دوافعهم لسلوك هذه المغامرة الكبيرة هي تطريق العالم الاسلامي من الغرب والشرق وتوجيه ضربة مميته له

عن طريق انتزاع احتكاره لتجارة المحيط الهندي وحرمانه مما كانت تدره هذهالتجارة من ارباح طائلة.

كانت تتاجج في نفوسهم روحا صليبية حاقدة على المسلمين ورثوها من تاريخهم الماضي وكان نجاحهم في استراتيجيتهم هذه بداية افول السيادة الاسلاميةوانتقالها الى اوربا تدريجيا .

دخل البرتغاليون كما سبق ان قلنا الخليج العربي عام ١٥٠٧ ونهبو عددا من مدن الساحل العماني كقلهات والقرياتومسقط وخور فكان كما استولو على هرموز لفترة قصيرة .ويذكر لنا الامير البرتغالي البوكرك بانه عندما وصل باسطوله امام صحار عام ١٥٠٧ كانت وصلة الى المدينة حملات تتالف من ٧٠٠ رجل يقودهم ابن جبر وقد كنا ذكرنا سابقا ان الجبور كانو من اوائل من تصدى للبرتغاليين وانهم ارسلوا بقواتهم عام ١٥٠٧ ايضا لنجدة ميناء مسقط الذي كان يحاصره الاسطول البرتغالي في تلك الاثناء (١١١) كما ان بني جبر كانو قد شددوا من سيطرتهم على مناطق واسعة من عمان وتغلغلوا في مناطقها الساحلية.

لجا البرتغاليون الى الضغط على الجبور عن طريق ضرب تجارة بلاد البحرين فقد قاموا عام ١٥٠٩/٩١٥بنهب سفينة في مياه الخليج العربي كانت قادمة من جزيرة البحرين وعلى ظهرها حمولة ثمينة جدا من لؤلؤ البحرين(١١٢) لكن الجبور وفي مثل هذه الظروف، اخذوا يواجهون تحديا جديدا من مملكة هرموز بعد ان اصبحت مقاليد الامور بيد خواجة عطار عم الملك شهاب الدين الذي قام عام ١٥١١/٩١٧ بتجريد حملة بحرية نجحت في الاستيلاء على البحرين لكن الجبور ارغموه على سحب قواته من البحرين بعد احتلال دام فترة قصيرة جدا.

مهما يكن من امر فان التغيرات والتبدلات التي اخذت تفرزها الاحداث منذ الربيع الاول من القرن العاشر /السادس عشر في منطقة الخليج العربي خصوصا وفي

المشرق عموما كان لابد لها ان تترك اثرها على الوضع السياسي والاقتصادي لامارة الجبور اذ كانت هذه الاحداث اكبر من ان تستطيع هذه الامارة التغلب عليها والصمود في وجهها.

من اجل المرور سريعا بهذه التغيرات نذكر ان البرتغاليين كانوا قد احكموا هيمنتهم على هرموز منذ عام ١٥١٥/٩٢١ واصبحوا يتحكمون بذلك في مداخل الخليج العربي ويهيمنون على اجزاء منه، وعلى الرغم من ان ذلك قد ادى الى اخراج هرموز من دائرة الصراع المباشر مع امارة الجبور، الا ان هذه الامارة قد اصبحت وجها لوجه مع البرتغاليين المتفوقين عليهم بقوتهم البحرية اضافة الى انهم اخذوا يتخفون خلف ادعاءات مملكة هرموز بحقوقها في البحرين والقطيف.والواقع فان دخول البرتغاليين الى الخليج العربي كان يعد بداية اول مواجهه مباشرة مع اوربا الصليبية الاستعمارية في المنطقة،كما كان يمثل بداية انتقال السيادة التجارية في المحيط الهندي والبحار العربية من ايد المسلمين- وعلى الاخص العرب منهم- الى ايدي اعدائهم التاريخيين من القوى الاوربية المختلفة (برتغال- اسبان – فرنسيين- انكليز). لقد كان من نتائج ذلك ان تعرض عرب الخليج الى خسائر مادية وانتقل معظم نشاطهم التجاري تدريجيا الى ايدي قوى اجنبية غير مسلمة والى شركات احتكارية كبيرة، فعم الكساد والفقر ابناء الخليج العربي ولم يستطيعوا استرجاع مكانتهم السابقة الا بظهور النفط على شواطئهم ، فكان عصرا جديدا للمنطقة حقا(١١٣).

اما قوة الصفويين التي ظهرت بقيادة الشاه اسماعيل واحكمت سيطرتها على جميع انحاء ايران وامتدت حتى الشواطئ الايرانية للخليج العربي وضمت الى دائرة نفوذها العراق(١١٤) فانه لم يكن خطرها يتهدد امارة الجبور مباشرة الا ان خطرهم كان مبعثه سعيهم الى نشر عقائدهم الدينية بمختلف الوسائل ، ولابد انهم قد بعثوا بدعاة تسللوا الى بلاد البحرين لكسب التاييد لدعوة الشاه الصفوي.

ومن المحتمل ان قسما من سكان بلاد البحرين قد اخذت تتعاطف لاسباب مذهبية –مع هذا التحرك الديني على الجانب الشرقي من الخليج العربي الذي ادى حتما الى اثارة مخاوف وقلق حكام الجبور.

ومما هو جدير بالذكر هنا ان الشاه اسماعيل كان قد اتصل بالبرتغاليين في هرموز والهند من اجل اقامة جبهه مشتركة ضد العثمانيين وقدم لهم بعض المطاليب بهذا الخصوص من خلال سفيره الى البوكرك، وكانت احد هذه المطاليب ان يقوم البرتغاليون بتامين السفن اللازمة من اجل تنقل رعاياه ما بين هرموز والبحرين والقطيف. وقد قبل البوكرك من حيث المبدا هذا الطلب لكنه اشترط على الشاه اسماعيل ان لايؤدي ذلك الى أي عمل يضر باراضي مملكة هرموز او بجزيرة البحرين(١١٥).

ومما يثير الاسف حقا ان المؤرخ الايراني عباس اقبال قد حرف هذه النقطة بالذات وادعى بان الشاه اسماعيل قد طلب من البوكرك ان تقوم سفن برتغالية بنقل قوة عسكرية ايرانية لاحتلال البحرين والقطيف ، وان البوكرك قد وافق على هذا الطلب(١١٦).

ان التدقيق في النص الانكليزي لمذكرات البوكرك، وهي المصدر الوحيد للمفاوضات التي جرت بين سفير الشاه اسماعيل والبوكرك يثبت بان عباس اقبال قد لجأ مع الاسف الشديد الى التزوير والتحريف عند ترجمة معنى هذا النص(١١٧)، الى الفارسية وغرضه واضح من تلك وهو ان يظهر ان الادعاءات الايرانية في جزر البحرين – والتي الف كتابه من اجل اسنادها (١١٨) كانت قديمة ترجع الى عهد الشاه اسماعيل وان اسماعيل حينما طالب بذلك لابد انه كان يستند على حق تاريخي في ذلك ، وان حفيده عباس قد حقق له هذه الامنية التي لم يستطيع تحقيقها في حياته.

والواقع فان المعنى الكامل لمطلب الشاه اسماعيل وجواب البوكرك عليه هو ماذكرناه اعلاه ولا يحتمل أي تفسيرات اخرى ومهما يكن من امر فان مطلب الشاه اسماعيل بالرغم من ان هدفه كما يبدوا هو تامين انتقال التجارة والافراد ما بين شاطئ الخليج العربي الا انه ربما كان يختفي خلفه اطماع سياسية.

ان القوة الثالثة التي كان لها تاثير على منطقة الخليج بالرغم من بعدها النسبي عنها هي العثمانيون الذين كانوا قد استطاعوا ان يزيلوا دولة المماليك في مصر والشام والحجاز بين عام ٩٢٢-١٥٦٦/٢٣-١٧ وان يحلوا محلهم ، كمااستطاعوا ايضا ان يقلموا اظافر الشاه اسماعيل الصفوي في معركة جالديران عام ١٥١٤/٩٢٠.

وقد اضحوا حماة البحرين وخدامة وفي مواجهة البرتغاليين في البحار العربية . مهما يكن من امر فان امارة الجبور قد اصبحت تقع عند حدود هذه القوى الثلاثة الكبرى المتصارعة. وكان لابد لها ان تحدد موقعها مما يدور حولها ، لكننا لا نملك اية معلومات تدل على الموقف الي اتخذوه، هل هو مداراة هذه القوى جميعا، ام التعاون مع هذا الطرف او ذاك؟ ان الذي نراه اقرب للمنطق هو ان الجبور اخذوا يميلون للتعاون والاتصال بالعثمانيين ، واذا كان هذا الميل والتعاون لم ياخذ شكلا علنيا فانه ربما كان ذلك من باب عدم محاولة اثارة القوتين الآخريين.

ان مما قد يدل على وجود ارتباط غير مباشر بين العثمانيين والجبور هو قيام علاقة معاهدة بين شريف مكة –الذي يدين بالولاء للعثمانيين- وبين زعيم الجبور السلطان مقرن بن زامل(١١٩).

وعلى كل حال فان هذه الظروف المستجدة التي اخذت تواجه امارة الجبور ربما كانت احد الاسباب للارتباك وسوء الادارة الذي اخذ ينتاب هذه الامارة، كما حل قسما من السكان في بلاد البحرين الى التطلع والتفتيش عن شخصية قوية

يمكنها ان تقوم ما اعوج وتواجه الاخطار المحتلة بجدارة. ولعل قصيدة الكليف بالنبطية على ركاكتها، والتي يخاطب بها مقرن قبل توليه السلطة ،هي خير تعبير على ذلك ، حيث جاء فيها:

تل العشيرة مقرن زاكي الوفا   حمال من جل الخطوب اثقالها
قد شاف بالاعمام مالايرتضي   بالدار واقفي زاهدا باعمالها
الى ان قال:

ان كان تبغي ماك هجر صادق فاضرب بحد السيف رؤس رجالها
(١٢٠)

ان انتقال السلطة بعد ذلك الى السلطان مقرن بن زامل يقتضي منا استعراضا سريعا لطبيعة نظام الحكم في هذه الامارة مستندين في ذلك الى الاشارات الواردة بهذا الخصوص وما نستشفه من بعض النصوص.من الطبيعي ان تتاثر طبيعة السلطة في امارة الجبور بالطبيعة القبلية للاسرة الحاكمة وللبيئة التي قامت فيها، اذ ان نظام المشيخة هو النظام السائد هناك، والذي يكون فيه شيخ اكبر للامارة، يساعده في ادارة الامارة عدد من افراد اسرته لذا فان السلطان زامل بن حسين كان كما يبدو قد اشرك اولاده وهم سيف واجود وربماهلال ايضا في ادارة قسم من الامارة وتحمل بعض المسؤليات الكبيرة فيها.

ويبدو ان هذا التقسيم الثلاثي للمسؤلية في الامارة قد اصبح تقليدا متبعا في عهد اجود ايضا ، اذ ذكر باربارو سفير البندقية الى السلطان اوزون حسن في ايران عام ٨٧٨-١٤٧٤/٨٧٩ ان السواحل العربية للخليج العربي كانت تحكم من قبل ثلاثة من الامراء المسلمين (١٢١) ومن المحتمل انه يشير بذلك الى حكومة اجود الذي يساعده ولداه في ادارة الامارة وهما سيف وزامل. ونحن نميل ايضا الى ان هذه المناصب كان يرثها الاولاد عن آبائهم في حين ان منصب الشيخ الاكبر للجبور لا ينتقل حتما من الاب الى الابن.ومن الجدير بالذكر هنا ايضا ان

المصادر البرتغالية – وهذا ماسبق ان اشرنا اليه-كانت قد ذكرت بان البلاد في مطلع القرن السادس عشر أي بعد وفاة اجود، كانت مقسمة بين ثلاث من امراء الجبور، وربما يكون هؤلاء الثلاثة هم اولاد اجود.

هذا وقد سبق ان عرفنا بان محمد ابن اجود كان سلطانا على الاحساء والبحرين والقطيف عند دخول البرتغاليين للخليج العربي. ان هذا التقسيم الثلاثي لامارة الجبور يجرنا الى تساؤل مهم عن حدود هذه الاقسام الثلاث؟ للاجابة على ذلك نقول بانه ليس امامنا سوى الافتراض لان مالدينا من نصوص واشارات لا تساعدنا على الجزم بخصوص هذه الاقسام. والذي نراه انها:

اولا- البحرين والقطيف وما يتبعها من جزر وقرى كثيرة. ان مايجعلنا نفترض بان هذا الجزء كان يشكل قسما اداريا هو ما وجدناه متبعا عند تفحصنا لتاريخ العيونيين ودراستنا للعصفوريين (١٢٢) وما وجدت في عهد السلطان مقرن بن زامل الجبري، وكان قد عين ابن اخت الشيخ حميد حاكما على هذا القسم(١٢٣). ويمكن ان نضيف الى ذلك بانه يمكننا ان نتخذ مما فعله العثمانيون منذ حكم هذه البلاد دليلا على وجود مثل هذا التقسيم ، فقد اعتادوا على ان يبقوا على الاوضاع السائدة قبلهم في معظم البلاد التي خضعت لسيطرتهم فقد جعلوا من القطيف والجزر والقرى التابعة لها سنجقا من سناجق ولاية البصرة لفترة قصيرة ثم جعلوها سنجقا من سناجق ولاية الاحساء او مايسمونها في بعض الاحيان ولاية نجد(١٢٤).

ثانيا- الاحساء وهو قسم اداري آخر،وقد كان يعتبر هكذا في العهود السابقة للجبريين كما ان العثمانيين اعتبروه ايضا سنجقا من سناجق الولاية ومقرا للوالي. على انه يبدو ان الجبور قد اتخذوا منه ايضا مقرا لسلطانهم، وهذا يتضح لنا من توجه سلفور شاه الى الاحساء لمقابلة السلطان اجود بن زامل.

من اجل طلب المساعدة منه يضاف الى ذلك وجود آثار قصر اجود في الاحساء قرب المنيزلة(١٢٥) حتى انه من المحتمل ان تكون نجد تابعة الى القسم الاداري، ان لم تكن قسمااداريا مستقلا بذات.

ثالثا- عمان الشمالي ومنطقةالظفرة(الامارات العربية المتحدة) وقد ضم هذا القسم منذ عهد السلطان اجود او قبله بقليل ثم ازداد توغل الجبور في عمان الداخل في عهد اجود. ولقد اورد البوكرك في مدوناته ان الجبور كانت لهم السيطرة على الاراضي الواقعة خلف ميناء صحار وخور فكان(١٢٦) ويرى كاسكل بان الجبور لكي يحافظوا على نفوذهم في عمان بصورة مستمرة لابد ان يكونوا جعلوا قاعدتهم الرئيسة في واحات توام(البريمي)، لانهم يستطيعون ان يتخذوا منها قاعدة لحشد قواتهم والانطلاق منها دون عوائق طبيعية نحو عمان الداخل ونحو الموانئ الساحلية الرئيسية خصوصا ميناء صحار وخور فكان لان توام تسيطر على طريق التجارة بين صحار وخور فكان وعمان الداخل.

وقد كان السعوديون في عهد دولتهم الاولى قد اتخذوا من واحات البريمي قاعدة في عملياتهم العسكرية داخل عمان خصوصا بعد ان تحالفت قبائل الجبور في المنطقة معهم. وان مما يعزز هذا التواجد للجبور في هذه المنطقة هو ان كثير من قبائل عمان الشمالي(اتحاد الامارات العربية) تنتسب الى بني عامر(١٢٨).

بقي هناك جزء يقع بين هذه الاقسام الثلاثة ويضم ميناء العقير وسلوة وشبه جزيرة قطر، اذ لا نستطيع ان نرجح الى أي قسم من الاقسام الثلاثة كان تابعا، وان كنا نميل الى انه يشكل جزء من اقليم لاحساء.

ان سعة كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة لابد ان يؤدي الى تقسيمه الى اقسام ادارية اصغر وان يكون عليها حكام وشيوخ سواءا كان في مدنها وقراها وجزرها او في بواديها. وقد يكون هؤلاء من بيت مشيخة الجبور او ممن ينتسب لهم بصلة ما، على ان أي جزء من الامارة صغيرا كان ام كبيرا كان يدار

باسلوب الادارة اللامركزية. مهما يكن من امر فان تعدد مراكز القوى في امارة الجبور كان لابد ان يؤدي الى ظهور احتمالات التصادم بين هذه القوى خصوصا عندما تختل الموازين فيما بينها، وتكون هناك قيادات اكثر طموحا وكفاءة تشغل مراكز قيادية غير رئيسية. بينما يوجد من هو اقل منها في قابليته يشغل مراكز قيادية رئيسية. لذا فما ان تسمح الظروف حتى تشب تلك القيادات ضد القيادات الاعلى.

مهما يكن من امر فاننا نجد في قصيدة الكليف التي خاطب فيها مقرن بن زامل التي ذكرناها مايشير صراحة الى ان الحكم في امارة الجبور كان موزعا بين اعمامه غير الكفوئين.

ويفهم من ترجمة الغزي لصالح بن سيف بان مقرن كان قد انتزع السلطة فعلا بالقوة من اعمامه وابنائهم(١١٩) لكن السؤال الذي يصعب الاجابة عليه هو هل انتزع مقرن بن زامل السلطة من عمه محمد بن اجود او من عم آخر له حكم بعد محمد.

مهما يكن من امر فانه من المحتمل ان مقرن بن زامل قد اصبح سلطان الجبورفي العقد الثاني من القرن العاشر/ السادس عشر، وانه قد لجا الى العنف في بعض الاحيان للوصول الى مركز الزعامة الاولى على الجبور(١٢٠) يبدو ان السلطان مقرن قد استطاع ان يحافظ على وحدة البلاد وعلى هيبة الجبور وانه قد نجحفي اخضاع قبائل كبيرة كانت قد تمردت على سلطانه كبني خالد وبني لام ويزيد ومزيد، يستدل على ذلك من قصيدة الجعيثن يمدح السلطان مقرن، اذ جاء فيها:

حمى بالقنا هجرا الى ضاحي اللوى

الى العارض المنقاد، نابع الفرايد

ونجد رعى ربعي زاهي فلاتها

على الرغم من سادات لام وخالد

وسادات حجر من يزيد ومزيد

قد اقتادهم فود الفلا بالقلايد

هذا وقد اشرناسابقا الى ماذكره ابن بسام من قيام الجبور عام ١٥٧٠/٩١٦-١١ بغزو نجد وقد يكون ذلك قد تم في عهد السلطان مقرن وان الشاعر الجعيثن حين مدح مقرن باخضاعه قبائل نجد كان يشير الى هذه الغزوة.

واذا كان افتراضنا صحيحا حول بداية عهد السلطان مقرن فيكون هجوم الهرموزيين على البحرين بقيادة خواجة عطار عام ٩١٧قد تم في عهده ايضا، وكان نجاح مقرن في افشال هذا الهجوم احد اسباب انتشار شهرته وذياع صيته. ولقد وصف ابناياس مقرنا بانه وحد عربان بني جبر فمتلك جزيرة ما بين النهرين (البحرين) الى بلاد هرموز ووحد عربان الشرق على الاطلاق(١٣٤).
ومن المحتمل جدا ان السلطان مقرن لكي يقوي مركزه قد لجا الى المعاهدات المتبادلة مع بعض القبائل والزعماء.تذكر المصدر بان امير مكة كان قد تزوج بابنة السلطان مقرن (١٣٥) ومن المحتمل ان دوافع هذا الزواج كانت سياسية. كما نميل الى ترجيح ان هناك علاقة مصاهرة قد قامت ايضا بين بيت مقرن وزعيم قبيلة بني خالد، ونحن نستند في هذا الافتراض الى ماذكرته المصادر من ان حاكم جزيرة البحرين والقطيف المدعوا الشيخ حميد ابن اخت السلطان مقرن(١٣٦)، وقد يكون حميد هذا شيخ بني خالد او ابن شيخها اذ من المعروف بان سلسلة نسب زعماء بني خالد يطلق عليهم ابن حميد تارة والحميدي تارة اخرى.

انتزاع جزيرة البحرين من الهرموز ومقتل سلطانهم مقرن

ان دوافع الهجمات المستمرة التي كان يشنها الهرموزيون لاستعادة جزيرة البحرين والقطيف هي لوضع مواردها الكبيرة تحت تصرفهم المباشر ويبدو ان

هذه الرغبة قد ازدادت بعد ان فرض البرتغاليون على مملكة هرموز ان تدفع لهم سنويا مبالغ كبيرة، وهذا مالم يكن بامكانها تلبيته وانه على الاقل كان يشكل عبئا ماليا كبيرا على خزانتها، خصوصا وان امراء الجبور ومقرن على الخصوص لم يكونوا يسددون بانتظام مافرضته عليهم شروط الاتفاقية المعقودة بينهم وبين هرموز من اموال سنوية.

وعندما تكرر فشل الهرموزيون في فرض هيمنتهم بالقوة على البحرين والقطيف لجاوا الى تحريض البرتغاليين على ذلك. وتشير المصادر البرتغالية الى ان ملك هرموز تورانشاه كان قد اعتذر للبرتغاليين بعجزه عن دفع المبالغ السنوية التي كانوا قد فرضوها عليه، وقد عزا عجزه عن ذلك الى ان مقرن بن زامل لم يكن يدفع له بانتظام المبالغ المقررة عليه سنويا من واردات جزيرة البحرين والقطيف. بل الاكثر من ذلك ان مقرنا كان يقوم بالتعرض للسفن التي تبحر مابين البصرة وهرمز، وذلك ردا على المضايقات التي اخذت تتعرض لها تجارة بلاده من قبل البرتغاليين والهرموزيين هذا ومن الجدير بالذكر هنا ان البرتغاليين كانوا قد حاولوا عام ١٥١٤/٩٢٠ النزول في جزيرة البحرين الا انهم فشلوا في ذلك، وعللوا هذا بان الرياح كانت قد عاكستهم(١٢٧).

ومهما يكن من امر فانه في عام ١٥٢٠/٩٢٦ اتفق البرتغاليون مع ملك هرموز على القيام بغزو لجزر البحرين، فحشدوا لهذا الغرض قوات كبيرة في جزيرة هرموز جندت من سواحل الخليج العربي يدعمها الاسطول البرتغالي . وكان وقت هذا الهجوم اثناء تغيب السلطان مقرن بن زامل في الحجاز لحضور موسم الحج، لذا فقد تولى مقاومة هذا الهجوم حاكم البحرين والقطيف الشيخ حميد ابن اخت السلطان مقرن وبسبب المقاومة الشديدة التي ابداها الجبور وسكان البحرين اضافة الى معاكسة الرياح الشديدة لسفن الحملة تم احباط هذا الهجوم (١٣٨).

وعلى اثر ذلك سارع السلطان مقرن بالعودة من الحجاز وتوجه الى جزر البحرين ليشرف بنفسه على الاستعدادات الضرورية لمواجهة هجوم ثان مرتقب.

وفي الحقيقة فان السلطان مقرن كان يتوقع هجوما برتغاليا على بلادة منذ مدة، لذا كان قد بدا باتخاذ الاستعدادات الضرورية لذلك. وتذكر المصادر البرتغالية بان السلطان مقرن كان قد بدا ببناء اسطول يتكون من سفن كبيرة واستعان من اجل ذلك بعمال مهرة من الترك والفرس والعرب، وجند مقاتلين يحسنون الرمي بالسهام والبنادق، كما انه قد اعاد تقوية تحصينات واسوار كل من البحرين والقطيف وزودها بالمدافع والمقاتلين ووضع على راس كل قوة احد القواد المدربين. وتشير المصادر البرتغالية ايضا الى ان قوات مقرن اصبحت تتكون من اكثر من ١١الف مقاتل مزودين بمختلف الاسلحة اضافة الى ٣٠٠ فارس و ٤٠٠رامي سهم من الفرس و ٢٠ تركي من حملة البنادق(التفنكجية)(١٣٩).

وفي ١٠ شعبان ١٧/٩٢٧ تموز ١٥٢١ قام البرتغاليون والهرموزيون بهجومهم الكبير المرتقب على البحرين والقطيف، وقد ذكرت المصادر البرتغالية ان هذه القوات كانت تتالف من قسمين، قسم قد اعده ملك هرموز وهي تتالف من ٣آلاف رجل من المرتزقة من فرس وعرب تحملهم ٢٠٠ سفينة ويقودهم وزير ملك هرموز ريس شرف الدين.

اما القوة البرتغالية فتتالف من ٤٠٠ رجل تحملهم سبع سفن كبيرة مزودة بمدافع ضخمة بقيادة انطونيوكوريا. تصدى الجبور لهذا الهجوم يقودهم السلطان مقرن شخصيا وجرت المعارك الحامية في هجير الصيف، وكانت المعارك تتوقف بسبب شدة الحر ثم يعاود الطرفان الهجوم بعضهم على بعض، وكان مقرن على راس قواته يحث جنوده على الصمود والاستبسال الى ان جرح جرحا بليغا بسلاح ناري في فخذه نقل على اثره الى احد المساجد حيث توفي فيه بعد ستة ايام متاثرا بجراحه. لم تتوقف المعارك بعد اصابة مقرن فقد كان يتولى القيادة الشيخ حميد الى ان استشهد مقرن ، فانهارت معنويات قواته ونظرا لانهيار المعنويات وكثرة القتلى والجرحى امر الشيخ قوات الجبور بالانسحاب الى القطيف فورا ونقل جثمان مقرن ليدفن في الاحساء. وتذكر المصادر البرتغالية

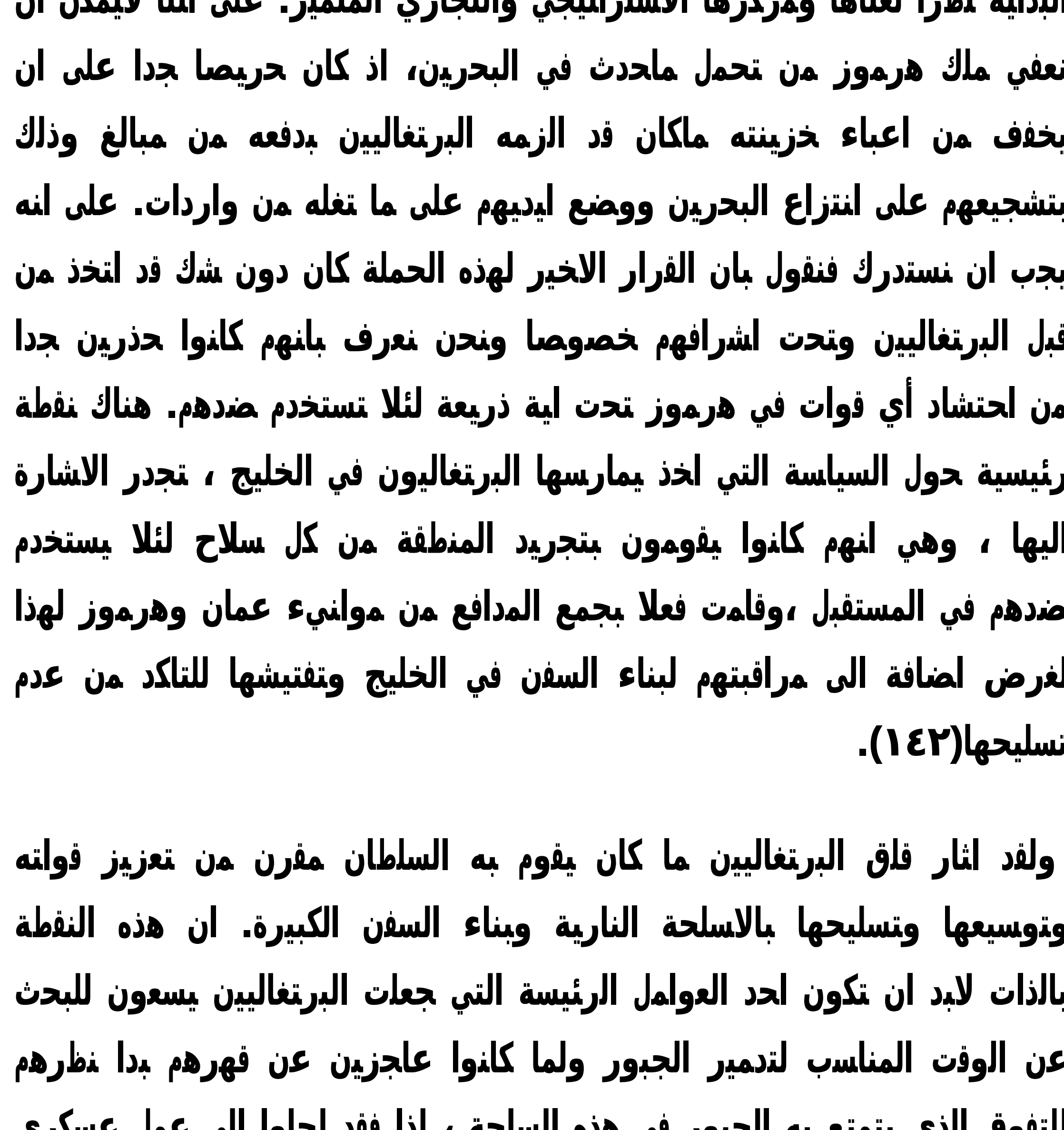
بان الوزير ريس شرف الدين قائد القوات الهرموزية قد امر قواته بضرورة انتزاع جثة السلطان مقرن من ايدي القوات المنسحبة ، فتم له ما اراد وقام بقطع راس السلطان وحمله معه الى هرموز(١٤٠).

ومما يجدر بالاشارة اليه هنا ان ابن اياس قد ذكر بان السلطان مقرن قد وقع حيا في ايدي البرتغاليين اثناء حربه معهم، وانه قد عرض عليهم مليون دينار فدية ليطلقوا سراحة، الا انهم ابوا ذلك وقتلوه صبرا(١٤١). ان هذا القول يصعب قبوله لكونه يتعارض مع ما اوردته المصادر البرتغالية القريبة من موقع المعركة. والربمايقصد ابن اياس بقوله هذا ان السلطان مقرن قد فاوض القوات المهاجمة قبيل وقوع القتال بين الطرفين او خلاله وانه اظهر استعداده لان يدفع لملك هرموز مابذمته من ديون وحقوق على شرط ان تنسحب هذه القوات من بلاده، وان هذا العرض من مقرن قد رفض.

مهما يكن من امر فان البرتغاليين والهرموزيين قد نجحوا في انتزاع جزيرة البحرين من الجبور واعادوا الادارة الهرموزية المباشرة اليها. وعينوا حاكما هرموزيا فيها يتمتع باستقلال كبير في ادارة الجزيرة وتقيم الى جانب هذا الحاكم حامية برتغالية ترابط في قلعة هناك ويراقب قائدها الاوضاع فيما حوله ليمنع بالقوة اذا اقتضى الامر أي امر قد يؤدي الى الاضرار بالمصالح البرتغالية او بالوجود البرتغالي في الخليج العربي.

ومما يلاحظ هنا ان الحملة البرتغالية – الهرموزية- لم تكتمل مهمتها المقررة وهي احتلال القطيف ايضا وربما يعزى ذلك الى شدة المقاومة التي واجهتها من الجبور وخشيتها من ان تصاب بكارثة كبيرة فيما اذا حاولت النزول في القطيف.

على انه لابد لنا من التعليق على ماذكرته المصادر البرتغالية من ان احتلال البحرين قد تم بتحريض من ملك هرموز وان هدفه كان ضمان حصوله على حقوقه في البحرين. ان هذا الاعتداء من قبل البرتغاليين تضعفه (الوقائع) اذ



نحن نعرف بانهم كانوا جشعين ومصممين على الاستئثار بمعظم المنافع في الخليج العربي. وكانت البحرين احدى المناطق التي توجهت اليها انظارهم منذ البداية نظرا لغناها ومركزها الاستراتيجي والتجاري المتميز. على اننا لايمكن ان نعفي ملك هرموز من تحمل ماحدث في البحرين، اذ كان حريصا جدا على ان يخفف من اعباء خزينته ماكان قد الزمه البرتغاليين بدفعه من مبالغ وذلك بتشجيعهم على انتزاع البحرين ووضع ايديهم على ما تغله من واردات. على انه يجب ان نستدرك فنقول بان القرار الاخير لهذه الحملة كان دون شك قد اتخذ من قبل البرتغاليين وتحت اشرافهم خصوصا ونحن نعرف بانهم كانوا حذرين جدا من احتشاد أي قوات في هرموز تحت اية ذريعة لئلا تستخدم ضدهم. هناك نقطة رئيسية حول السياسة التي اخذ يمارسها البرتغاليون في الخليج ، تجدر الاشارة اليها ، وهي انهم كانوا يقومون بتجريد المنطقة من كل سلاح لئلا يستخدم ضدهم في المستقبل ،وقامت فعلا بجمع المدافع من موانيء عمان وهرموز لهذا لغرض اضافة الى مراقبتهم لبناء السفن في الخليج وتفتيشها للتاكد من عدم تسليحها(١٤٢).

ولقد اثار قلق البرتغاليين ما كان يقوم به السلطان مقرن من تعزيز قواته وتوسيعها وتسليحها بالاسلحة النارية وبناء السفن الكبيرة. ان هذه النقطة بالذات لابد ان تكون احد العوامل الرئيسة التي جعلت البرتغاليين يسعون للبحث عن الوقت المناسب لتدمير الجبور ولما كانوا عاجزين عن قهرهم بدا نظرهم للتفوق الذي يتمتع به الجبور في هذه الساحة ، لذا فقد لجاوا الى عمل عسكري يرتكز اساسا على تفوقهم البحري.

مهما يكن من امر فان سياسة البرتغاليين في الخليج العربي القائمة على عرقلة النشاط التجاري لسكان الخليج مع المحيط الهندي وفرض الضرائب الباهضة على سكان المنطقة وقسوتهم المتناهية في التعامل مع السكان ثم الاعتداء على الكرامات والاعراض ونهب الاموال ، كلها عوامل قد هيأت الاجواء للثورة

ضدهم. ولم يكن استشهاد السلطان مقرن ليقع دون ان يحدث صدى حزن واسع في انحاء الجزيرة العربية وربما كان ابن اياس يعبر عن ذلك حينما قال معلقا على استشهاد السلطان مقرن بان ذلك كان من اشد الحوادث في الاسلام واعظمها(١٤٣) كان الراي العام في تلك الظروف العصيبة يراقب باعصاب مشدودة ما كان يحدث على طول ساحة المواجهة مع البرتغاليين والممتدة من سواحل الهند الغربية حتى السويس، ويتنسم اخبارها (١٤٤).

ان ماحدث بعد بضعة شهور من استشهاد مقرن لا يمكن عزل بعض فصوله على الاقل عن هذه الحادثة. ففي اواخر عام ١٥٢١ انفجرت ثورة عارمة ضدالبرتغاليين في طول الخليج العربي وعرضه تقريبا، ويبدوا ان توقيت الثورة كان منظما بشكل دقيق بحيث تقوم في كل مناطق الخليج في وقت واحد على الحاميات البرتغالية المتواجدة فيها، وقد نجحت هذه الثورة فعلا في ايقاع خسائر كبيرة في البرتغاليين وكادت ان تقضي على وجودهم فيه. والذي يعنينا في بحثنا هذا هو موقف الجبور على الخصوص ففي حين نرى سكان البحرين قد ثاروا في وجه البرتغاليين وقتلوا قائدهم وفتكوا ببقيتهم نجد ان قيادة الجبور في عمان والتي تذكر المصادر البرتغالية انها تتركز بيد الشيخ حسين بن سعيد تقف موقفا آخر. فقد عمل الشيخ حسين بن سعيد على ان يستغل ظروف الاضطراب التي عم الخليج ليطبق بقواته البالغة ٤٥٠ رجل على صحار التي كان يحكمها احد كبار اخوان ملك هرموز وهو ريس شهاب الدين والذي من المحتمل ان يكون قد ساهم هو وقواته في الحملة البحرية التي انتهت باحتلال البحرين واستشهاد مقرن. وعندما كان الجبور مطبقين على صحار وصل الاسطول البرتغالي بقيادة دون الوين الى سواحل صحار وهو يعتزم اقتحام المدينة ايضا لانهاء التمرد ضد البرتغاليين فيها ادرك لوين بانه لن يستطيع الوصول الى نتيجة حاسمة مع صحار من دون ان يغري الجبور بالتعاون معه فاتصل لهذا الغرض بالشيخ حسين بن سعيد الذي رحب بذلك لكنه اشترط ان يحكم الجبور صحار.

ويبدوا ان الجبور كانوا معنيين اساسا بالانتقام من اتباع ملك هرموز. في ١٢ ربيع الآخر عام ١١/٩٢٨ مارت ١٥٢٢ وبعد اتفاق الطرفين قام الاسطول البرتغالي بمهاجمة صحار من البحر والجبور من البر فاضطر السكان الى طلب الحماية من الجبور خشية تنكيل البرتغاليين بهم فمنحوهم ذلك، كما كلفوا الحامية الهرموزية بالانسحاب مقابل مبلغ من المال . اما ريس شهاب الدين فقد تمكن من الفرار. دخل البرتغاليون صحار من جهة البحر واخذوا ينهبونها ويشعلون النار فيها لكنهم انسحبوا منها بعد حين وسلموها الى الشيخ حسين بن سعيد الذي كان قد دخل صحار من جهة البر، فاستقل في حكم المدينة مع الاعتراف بالسيادة للبرتغاليين(١٤٥).

ان مما يلفت الانتباه حقا ان المؤرخ الايراني عباس اقبال قد دفعه تعصبه الى ان يصف موقف بعض شيوخ العرب من البرتغاليين خلال هذه الثورة بالذات بالخيانة(١٤٦) في حين انه تغاضى تماما عن تحالف الشاه اسماعيل الصفوي مع البرتغاليين في الخليج كما تغاضى ايضا عن موقف حكام مملكة هرموز الذين كانوا عموما قد مهدوا بتخاذلهم وضعفهم للبرتغاليين ليثبتوا اقدامهم في الخليج العربي ، ولينكلوا بالسكان بل وليحرضوهم ويتواطاوا معهم في ذلك.كما حصل في البحرين .(١٤٨) يضاف الى ذلك ان عباس اقبال قد اهمل متعمدا الاشارة الى موقف التحدي للقوات البرتغالية الذي كان يقفه العرب عموما وبنو جبر خصوصا طوال الفترة السابقة لذلك كما انه تناسى ان معظم سكان مملكة هرموز والتي كانت قد ثارت ضد البرتغاليين هم من العرب.

والذي يبدوا لنا ان موقف بعض شيوخ العرب عموما والجبور خصوصا في هذا الظرف بالذات من البرتغاليين كان مبعثه اساسا هو انهم كانوا يرون ان كما اصابهم من ضرر كان مصدره تخاذل وتواطؤ حكام هرموز مع البرتغاليين ثم قيامهم بتعريضهم على التنكيل بالجبور وقتل سلطانهم مقرن فتحركوا في هذا الاتجاه وهو الانتقام من الهرموزيين، وقد ظهر ذلك واضحا في هجومهم على

صحار ولكن ملك هرموز طورانشاه قد لجا الى جزيرة قشم هربا من البرتغاليين بعد فشل ثورته ضدهم ، فارسل زعيم الجبور حسين بن سعيد احد اتباعه اليه ليثار منه لمقتل السلطان مقرن بن زامل وقد تمكن من ذلك وبذلك صفى الجبور الحساب مع عدوهم اللدود طورانشاه(١٤٩).

نهاية امارة الجبور

ترك استشهاد السلطان مقرن بن زامل بن اجود بن زامل الجبري فراغا سياسيا كبيرا في امارة الجبور عجز الامراء الذين اعقبوه ان يملاوه ومن المحتمل انه قد ظهر خلال هذه الفترة في صفوف الجبور محوران متنافسان حول الزعامة . احدها كانت تتركز زعامته في الاحساء في اولاد الجبور واحفاده والاخر في عمان الشمالي . وفي واحات تؤام (البريمي) بالذات في اولاد هلال بن زامل بن حسين الجبري واحفاده. ويعزى السبب الرئيسي لانهيار امارة الجبور الى التناحر بين هذين المحورين والى ضعف قياداتهما. على انه يجب ان لا يغب عن بالنا جمود النشاط الاقتصادي وكساد النشاط التجاري الذي ساد امارة بني جبر بظهور البرتغاليين في مياه الخليج العربي. ثم زاد الامر سوءا خروج جزيرة البحرين من ايديهم وهو عامل مهم في انحلال امارتهم وسقوطها.

ولقد لخص لنا الشيخ الجزيري الوضع السياسي الذي ساد امارة الجبور عقب مقتل السلطان مقرن بن زامل مباشرة سنة ١٥٦١/٩٢٧ فذكر ان السلطة قد انتقلت بعد مقرن الى عمه علي بن اجود الذي لم يستطع الاحتفاظبها اكثر من شهر، فاعقبه ابن اخيه ناصر بن محمد بن اجود الذي بقي في السلطة مدة ثلاث سنوات، تميزت كما يبدو بالضعف والفوضى فادرك عجزه وافلاسه مما دفعه الى ان يتنازل عن هذه الامارة لقطن بن علي بن هلال بن زامل مقابل مبلغ من المال . وبتولي قطن بن علي بن هلال لامارة الجبور تكون السلطة قد خرجت من بيت السلطان اجود بن زامل لتنتقل الى بيت اخيه هلال بن زامل، الذي كان نفوذهم

يتركز في عمان الشمالي ، ويطلق عليهم المؤرخون العمانيون في بعض الاحيان اسم بني هلال، وتغلب عليهم البداوة.

مهما يكن من امر فان قطن بن علي قد توفى بعد ان حكم فترة لم تتجاوز اشهر او شهرين ثم اضطر الى التنازل عنها لعمه غضيب(قضيب) اننا نعرف من المصادر العمانية ان لقطن هذا ثلاثة اولاد هم قطن وناصر وعلي ولابد ان يكون احد هؤلاء الثلاثة هو الذي ورث الامارة من والده على ان ابن قطن لم يستطع ان يحتفظ بالسلطة الا فترة قصيرة جدا لم تتجاوز الشهر او الشهرين ثم اضطر الى التنازل عنها لعمه غضيب (قضيب) بن زامل بن هلال بن زامل(١٥٠).

ان هذه الفوضى السياسية والاقتصادية التي اخذت تتخبط فيها امارة الجبور بعد استشهاد السلطان مقرن مباشرة وبعد انتقال السلطة الى الهلاليين خاصة قد دفعت بالتاكيد ببعض الزعماء في الاحساء والقطيف بما فيهم بيت السلطان اجود بن زامل الى البحث عن زعيم قوي ينتشل البلاد من حالة التخبط والتدهور التي وقعت فيها، ولابد ان انظارهم قد اتجهت الى الشمال منهم الى البصرة حيث كان الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل قد نجح في انتزاع البصرة من المشعشعين في حدود العقد الثاني من القرن السادس عشر وكون له امارة قوية هناك مستقلا بها عن الصفويين.

هذا ولابد ان نشير هنا الى ان الشيخ راشد بن مغامس زعيم المنتفق كان بدون شك يراقب ما كان يحدث في بلاد البحرين نضرا لعلاقة ذلك بامن امارته وبمصالحها الاقتصادية وخاصة بامن قافلة الحج الكبيرة التي كانت تنطلق من البصرة مارة باطراف بادية البحرين. ولابد ان الشيخ راشد راى ان الظروف مواتية جدا لتحقيق طموحه في توسيع امارته وضم بلاد البحرين اليها وهو مطمئن الى حد ما الى انه لن يلقى مقاومة تذكر فيما لو حاول ذلك. ويفهم من عبارات الشيخ الجزيري التي يقول فيها ان الجميع كانوا قد استعانوا بالشيخ راشد بن مغامس لضعف حالهم فقوي عليهم (١٥١) .

ان الشيخ راشد كان قد دخل في البداية الى بلاد البحرين بمطلب من الجبور كحليف لهم ومعين في ضبط الامن والنظام، الا انه بعد فترة قصيرة استغل ضعفهم وارتباك امرهم فانتزع منهم الحسا والقطيف في حدود عامي ٩٣١-١٥٢٤/٩٣٢ - ١٥٢٥. وبذلك تكون امارة الجبور قد زالت من بلاد البحرين في هذا التاريخ كسلطة سياسية. وحلت محلها امارة آل فضل واصبح الشيخ راشد بن مغامس بذلك يلقب بسلطان البصرة والحسا والقطيف(١٥٢).

بقي ان نتساءل لماذا اختفى من مسرح الاحداث اسم الشيخ حميد ابن اخت السلطان مقرن بن زامل الذي كان حاكما على جزيرة البحرين والقطيف في عهد خاله مقرن، واشترك الى جانبه في القتال دفاعا عن جزيرة البحرين ثم اين اختفى اسم الشيخ حسين بن سعيد الذي مربنا ما قام به من نشاط بعد استشهاد السلطان مقرن؟ هل كان هذان الزعيمان يتزعمان بني خالد من بطون عامر الذين قدرلهم ان يلعبوا دورا كبيرا في حياة بلاد البحرين بعد فترة قصيرة من زوال امارة الجبور؟ انها تساؤلات يصعب الاجابة عليها على ضوء معلوماتنا الشحيحة..........